الطبعة الثانية

محمد أيت علو

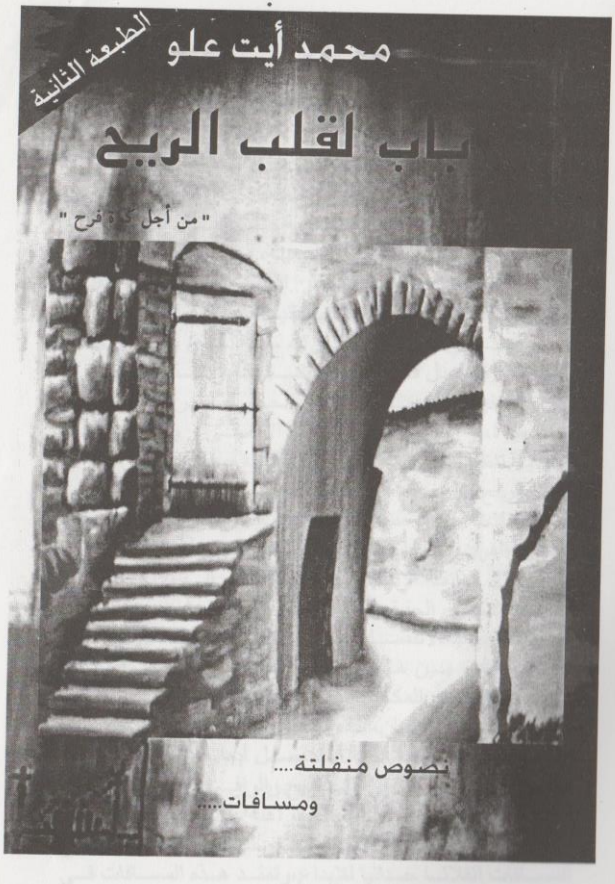
باب لقلب الريح

" من أجل كوة فرح "



نصوص منفلتة....

ومسافات.....



*الكتاب:باب لقلب الريح(من أجل كوة للفرح)
*المؤلف:محمد ايت علو.
* تصميم الغلاف : خالد خشيع
*لوحة الغلاف:هدية من خالد خشيع إلى المؤلف .
*اللوحات داخل المؤلف:إبراهيم ايت لشكر.
*الطبعة الأولى: غشت 2000
*الطبعة الثانية:أبريل2011
*الإيداع القانوني:1179-2011
*جميع الحقوق محفوظة.

مقدمة:
بين الإنفلات،ومسافة الإبداع.

...يـرقص الجسـد مترنحـا بـين جنبـات الكرسـي،لا يسـتقر لـه قـرار فـي الجلـوس طبيعيا،كـأن المقعـد جمـرمن نار،النـار تسـري تدريجيا،متسـربة حتـى تصـل إلـى النخـاع الشـوكي...ثم تسـير سـيرتها الطبيعيـة، دون أدنـى مقاومـة إلـى أن تصـل إلـى تلافيـف الـدماغ...إذ ذاك يبـدأ التفكير/القلـق وينطلـق التسـاؤل، موجـات كهربائيـة تلسـع كـل الجلـد:- مـا الـذي يجـري فـي الأعمـاق؟ - مـا الـذي يجـري مـن حولنا؟...موغـل فـي تعـب الاسـتحالة و شـقاء المعنـى... مشـرع بفوضـى خالصـة تقـود نحـو اسـتدراج التفاصـيل الصـغيرة، و اللغـة إلـى دمورهـا الأقصـى... و حـين نهـب الحكايـة تنظـيم عثرتهـا، نكـون قـد انفلتنـا مسـافة، تسـلم عنفـوان الذات للريح....

إن الإنفـلات فـي الأصـل مسـافة إبداعيـة..،احتراق مـن أجـل تأسـيس هويـة الحداثة،ونشـيد يعـانق التحـول والإسـتمرار، مـن خـلال معانقـة الإنسـان بهـدف الطمـوح إلـى الإنخـراط فـي لحظـة الإنـدماج الحقيقيـة،ما دام كـل انفـلات مشـروعا إبـداعيا لممارسـة يوميـة،لاتنفصـل عـن المشـروع المجتمعـي ككل،بـل تخلـق بينـه و بـين هـاجس تحوله،مسـافات تتمفصـل أبعادهـا داخـل ذات تنتمـي للمكـان الـذي ولـدت فيـه،وعانقت مـن خلالـه همـوم و أحـزان الزمان،الـذي يفعـل فيـه بشـكل حضـاري،وما دامـت المسـافات مـن خـلال تمفصـل أبعادها،تمتلـك إمكانيـة التـأثيرفي الإنسـان،في التـاريخ والواقـع ارتباطابـامتلاك إمكانية الفعل والتفعيل في اللحظة الراهنة...!

يتـداخل هـذا الإنفـلات فـي تلـك المسافات،لتصـبح المسـافات انفلاتـا حـداثيا للإبداع،وتمتـد هـذه المسـافات فـي

ذلك الإنفلات،ليصبح الإنفلات مسافات بين التداخل والإمتداد،رؤية في اتجاه أن نكون أو لا نكون...!

إنها الكلمة/الإبداع،والحكي عن الفرح الجامح، بصخب و توهج،عبيرا ينتشر عبر الأمكنة/الأزمنة من ضوء يغذي جوع العتمات المندوبة جراحها فينا كالنزيف، و مساءات الرغبة المبحوحة في الإنفلات من ذاك العالم المسيج بالريح،واحتراق الكلمات الناضجة فينا،فتبقي المسافة بيننا طقوسا لانفلات لم نمارسه من قبل...!

فسلاما عليك أيها الواقف عند مدخل القلب،سلاما عليك أيها الجسد المنفلت فينا،حلما يراود الذات،ويسعى إلى تدمير المألوف،سلاما أيها القلب، الراقص على جدار الحزن الراكض في اتجاه النافذة بحثا عن كوة فرح، ملفوف بمرايا عشتار و أناشيد لوركا...يدك الريح على كف الشمس وسط الظلام،ومشيئة الظل الذي هو ظلك في ظلين...،الأول يحلق داخل متاهات الوجد وأزقة المدينة، يغازل الجرائد سيلا من رماد...،ويغطي الثاني رموزه بحدائق تحجرت نبوءاتها في دمه،و من أجل لا شيء،هو المرمى هناك بين نوافذ الريح،بين الندى والبحر،يبقى الإشتهاء لديك في الإنفلات إلى شرفة مضيئة،مطرزة بليل السمار الموسوم بالحكي والشغب المبدع...!

من هنا تبدأ الحكاية/ الكتابة،والكلمات...،وحبك المشنوق بحبال المنع والردع والصفع،وحقيقة إنفجاراتك الداخلية،وكل التناقضات التي تجعل العالم يضيق أمام عينيك،حتى يصبح في حجم علبة الثقاب.

المبدع:ابن الأثير عبده بن خالي .

المسافة (1)

رقصـــة القلـــب ... والـــــركض إلـــــى النـافذة

1-أنطلق إلى الشوارع،صوت حبيبتي الصغيرة يملأ كياني و الرذاذ يغسل هموم القلب،وما تزال الأرض الطيبة تحتضن مطر القلب ومطر السماء مزيجا واحدا يجسد حقول اللهفة،ويرسم تفاصيلنا الصغيرة،ويعلن عن إصرارنا أن نفتح في جدران الحزن كوة للفرح،تعبث الريح بخصلات شعرك قبل أن يداهمك الصلع،و تلهو بمزق ثوبك و لا تعير لشيء اهتماما!

2- تستلهم من الضمير صلابته،ومن الحفيف موسيقاه، وتسرح في الحقول كنسمة صيف رطبة منعشة.

يسيل الشعر على شفتيك غناء ممشوقا تساهم الطبيعة في صياغته،وتضل تركض وتركض،كأنما روحك تعقد والعصافير عرسا مع الطبيعة الآسرة،فتغدو طبيعة داخل طبيعة،تجلس على رابية بكر،تسرح في الأفق البعيد الممتد أمامك ، كلوحة عشق أبدي،تتذكر وجه حبيبتك الصغيرة الذي يتورد توقا لقبلة بريئة،تطبعها على الخدو لكلمة ريفية بكر،طافحة موسيقى تهمسها في أذنيها الصغيرتين،أو لمسة حانية تصب بجديلتها المجذوبة،وعند الغروب،وبعد أن يرتفع دخان المواقد في قريتك...،تعود إلى حضن أمك الدافئ،و تنام...!

3- تحلم بأنك طائرمن البرق يبلل السحاب جناحيه، الحقول بحار من سنابل ذهبية تتمايل كقامات الصبايا،وأغنيات الأطفال الذاهبين إلى مدارسهم،تنسج للصبح سيمفونية تتأرجح على أهداب الأفق،و أنت أترابك وتملأ ون الكون ضجيجا،فترقص أغصان الشجر فرحا واحتفاء بالطفولة والنقاء،وتنتبه للعراجين الحالمة،في أحضان النخيل،بالخطوات المفعمة بالحياة والأمل،أكان حلما مريرا أم رائعا؟

تفيق من نومك،تتململ،تفتح عينيك تتأمل ما حولك،كل شيء عاد قاتما كما كان!

لقد هويت من السماء السابعة،أحلامك الوردية تحطمت نتفا على صخرة اللحظة المثقلة بالهم،عليك أن تنتعل حذاءك وتبدأ يوما ثقيلا غامضا...!

الهواء فاسد،وداخلك يهرب منك إلى حيث لا تعلم،ولا تريد،وحبيبتك مثقلة بالأحزان والمواجع، تحمل في قلبها جرحا،وفي نبضها زجاجا مهشما مكسورا،وأنت لا تملك إلا كلمة رقيقة حانية تقدمها جرعة مؤقتة،تجفف دمعها وتساعدها على الوقوف و لو لحين...!

4- ينقر المطر زجاج النافذة كعصفورة بريئة، يرقص قلبك للمفاجأة المفرحة،تركض إلى النافذة،تشرعها إلى المطر،تطل بوجهك و تفرده شراعا ضاحكا للريح، يهاجمك الطين،يحط على وجهك ويديك،وتدرك أن المطر سلب نقاؤه،تقفل نافذتك وتعود،صوت حبيبتك يأتي رقيقا، وراقصا هذه المرة فرحا بالمطر الذي رأت فيه ما لم تره...!و ما لم يره الآخرون...!

تقول:ــ كم أتمنى أن أسير معك في شوارع المدينة،نفرد وجهينا للرذاذ،ونشرع قلبينا للحب،نفتح في جدران الحزن كوة للفرح..!فغدا كل منا إلى سبيل،فلنطهر بالحب ساعة اللقاء قبل أي وداع...!

مرتبل ـ تطوان
1997/07/ 06

المسافة (2)

إسكيس الوله

ـ في حضرةالكناوي :-

لكـم أتعبـك المشـي يـا حبيبـي المحموم،وخبـت فـي عينيـك بهجـة الدنيـا ونظارتهـا،وزين الـحزن صوتك بسحر الآه !
فبربـك قـل لي:ـ أمـا آن لكتلـة الجمـر فـي صـدرك أن تنطفئ؟وقـد أهدتـك الأيـام فسـحة فـي القلـب، و أسمعك النبض عزف هواه...!
قـد لا يحتمـل السـؤال ثقـل همومـك واضـطراب أحوالك،وقـد تكـون مـن لا يحتمـل الخبـث فيـه .....!
و ترغـب فـي أن تـراك كمـا أنـت.... أنـت الجـوال النشـوان فـي هـذه "الرحبـة" ستكـون "علامهـا" ومـع حلـول جذبـة "التملـك" والمـس داخـل محلـة "الكوحـل"،أكون الولهـان" للالـة ميمونـة"،أنـت النشـوان،وأنا الولهان،ندور،نـدور... و ننـادي بـلال...بلال.....!هذا مـن سينشرالنـورورائحة الطـيب و البخور،ومـاء الـورد تنبعـت مـن بعـيد، وإنشـاد رخيـم يعلـو:هو،هو،هو...!والصـوت يعـلوو يـنخفض كـالأمواج،ويرتفـع بصـورة فجائية،تقشعـر لـه الأبـدان والجلـود،وتلين لـه القلـوب، و يتمـدد النـور فـي قدسـية الحضرة،ويعـود الصـدى ويعم الدوار،وأعـدوأنا في الهبـوط....!

ـ تـعـب الـقـلـوب:ـ

آه!آه!أيهـا النشـوان كـم تتعبنـا الـروح،ويصلبنا ملـح الأرض،ويركبـنا غرورالأطـفال إذا مـا ارتشـفنا شـيئا مـن بحـر الملكـوت، آه! يـا صـديقي،كم نجهـل سـروجودنا فـي لحظـة الحـرف الأبكم،نتوغـل فـي أعمـاق الأشـياء،نبحث عـن سرالمسـاء–تضيـع والحقيقة سرابـا في مـدن الصحراء !
آه يـا صـديقي! نظـل نغنـي فـوق الشـوك،نحلم بأثـير الحرير.ننحـث تماثيـل عشـق خضـراء مـن أمـوات الصـخور،ونغني نـدرك أن الليـل عـرف قديم،نـدرك أنه لا بد من الملح كي نعشق الماء !

الله الله، لما نا داني هو
فصرت عبدا مملو كا له هو
خـير البريـة،نظـرةإلـي
ومـاأنـت ، إلاكـنـزالعـطيـة ،
إني محـب بذكـرأحمد
بشـر محبـا، ولـو بـرؤيـة .

ـ هـذيــان بشكل صوفي:ـ

مــن الأكــيد أن يصيــبك الهــذيان لــو فتحــت مخطوطــا،وقلبت صفحاتــه ووجــدت خريطــة كنــز أو رســالة مدفونــة،تم إخفاؤهــا بعنايــة متناهية،وقــد بهـت لـون حبرهـا مـع الـزمن،ولم يطلـع عليهـا أحـد إلا أنـت يـا عـذابي،"... أنـت يـا عـذابي الكبير،مـاذا فعلـت بي؟جسـني الطبيـب أمـس فقـال بـأن هنـاك خلـلا فـي جميـع جسـدي!ولـم أفاجـأ قـط لأننـي أعـرف نفسـي جيـدا،وأعرف أننـي كتبـت نهـايتي بيـدي وبـإرادتي بقلبـي ويـوم قـررت أن أتجـرع حبك،وأسـلمك مصـيري،وها أنـا أرى الطريق،طريـق النهايـة أمـام عيني،وبـدأت السـير فيـه بشـجاعة،مثل شـجاعة كتمـاني لسـري،ولكم احتجـت إلـى شـجاعة أكبـر يـوم قـررت الاستسـلام لحبـك... عـذري أننـي لـم أعـرف العشـق لا قبلـك و لا بعـدك، و لـم يعـد يهمنـي أي شـيء،أنت الآن أسيـري،أسيـري لأنـك منتشـرفي شـراييني،في دمـي،ولن تسـتطيع الخـروج قط،مـا دمـت علـى قيـد الحيـاة!ولاحتـى بعـد أن تفـارق الـروح الخالـدة تـراب هـذا الجسـد الفاني،لأنـك يومهـا سـتكون منتشـرا فـي روحـي ذاتها،بـل إنـك روحي،لقـد جاهـدت نفسـي حتـى أظـل أبـدا البلسـم الـذي يـداوي متاعبـك، وضـيقك،ولم أفلح،أحبـك حتـى تطفـح الأرض بالحب،وحتى يغوص الكون مثلك في قلبي..."

ـ قاعة الموت :ـ

و من فرط "الجذبة" أرى الأشياء مقلوبة،ثم، كأنني أقف أمام القاعة التي أنشأتها الراهبة "تيريزا" بمستشفاها في "بومباي" و التي تسمى "قاعة الموت"كي يموت الميئوس منهم فيها بهدوء... تراه الليل سافر إليها فمات...!؟
النجوم والأنوارتتفتق من الزهو متلألئات،صبيب والشاي يوقظ الإحساس وقمرية حمامة وردية،يلفها العبير،بسمتها وقت لا ينام،نسيت كل شيء بقدومها،وتخلصت من كل الذين أدمنت حبهم، فما الفائدة من إدمان حب عصي،كافر،جاحد،ولى مقسما ألا يعود...؟!
تراه الحب ولج قاعة الموت الأبدي...؟

ـ بوح وانتعاش:ـ

رجلان لا أعرفهما،وصاحب اللحية الكثيفة لم أره من قبل،والرجل المهيب ملامحه توجعني،أما الأقرع فوجهه ليس بغريب عني... وأنامل صبية تداعب سيجارة مرتاعة فيما يبدو من الرجال،ملسوعة،مبعثرة الكيان،من العزلة وغدر الرجال،ومن الضياع تدخن غليونها،ترتاد بداية ليلة مقمرة...،وسط الدم والذبائح والزغاريد،والشعر المدلى،وإيقاع الطبول، و"قريقبة"،و صوت "الهجهوج" ممزوجا بتراتيل "العياطات".....،هي التي رأيتها ترقص على النار دون أن تحترق أقدامها المخضبة الحافية،تشرب الماء المغلي،والدخان كان يتسرب من قلبها...،

ونحن جلوس على الأرض قرب نار متراصة اللهب،الأقرع عيناه تشعران بأعماقي،أحس بالزمن يتخطفني منهما وأفقي الواسع يشيخ،أعرف الآن كم قاسى،وكم ضيع من الأيام ليصلح أخطاءه،وهو الذي يفتح دكانا وسط السوق المزدحم بالباعة، وصاغة الذهب والفضة،وليس بالدكان سوى هاتف يدخل لاستعماله بضع دقائق،ويضيء المصباح ثم يغلق الباب الزجاجي وينصرف،ولا أحد يدري الحاجة التي سرها في نفسه،ولا حديث الناس إلاالأقرع،المتأزمون،الفضوليون في كل مكان،هوالذي يزيد من تأزمهم و حيرتهم في كل حين،فلا يزال يحرص على أن يشترى كل مرة عمارة،يغلقها ويرحل،ترى من أين تأتيه هذه الأموال الطائلة؟وهذا المال الذي يصب عليه صبا،زوجته،ابنه،صهره،والناس أجمعين عقولهم في حيرة،يزيغون،يؤلفون الحجايا، يجن وجنونهم،والأقرع كل يوم هو في شأن،إما مع الجن والعفاريت وربما مارد أو خاتم سحري أو كنز،تعددت الأقوال،ولا أحد يدري !لكن الرجلان اللذان أعرفهما كانا يتحدثان عن الليلة السابعة والقمر،وعن الذين ينهشون الأعراض ويفوزون...،وعن الذين يأكلون لحوم البشر، وصاحب اللحية الكثيفة يجذب الإنتباه بثرثرته العمومية المتواصلة،وبصوت عال،وكأنه يتكلم مع كل الحاضرين في هذه الحضرة عرفت أن اسمه" علال" و صديقه" سلام"،صارا من الأغنياء في رمشة عين،لكن عين بني آدم لا ترحم،وها هما

هنـــا لمعالجـــة ذاتيهما،الرجـــل المهيب،بيـــاض فـــي بياض،اللبـــاس كمـــا الوجـــه واللحية،تجاعيـــد بـــارزة ونظـــرات عميقـــة،كان يـــديم النظـــر فـــي كـــل شـــيءو لا شـــيء؛وجه رأيتـــه فـــي يـــوم،في ســـنة،كان ينـــزوي فـــي حانـــة،يلعن الأصـــدقاء والـــزمن المتعهـــر،و كـــان مغتمـــا و حزينـــا،و قيـــل بأنـــه صـــمم أن يمتلـــك قطعـــة فـــي القمر،وكـــان لحـــزن قـــد خـــيم طـــويلا وحـــين أتيـــت أحمـــل لـــه لبشـــرى والجريـــدة،لم أرغيـــر كرســـي مهشـــم مبـــثور القـــوائم،وقتئـــذ ســـألت عنـــه رب الحانـــة البـــدين،فقال بأنه لم يعرف له أثر،لربما مات أو انتحر...!

ـ الـحـال:ـ

قمريـــة الآن،تحاصـــرني بقوامهـــا المرمـــي،البض والمكتنـــز،ذات شـــعر فـــاحم و عينـــين زرقـــاوين، وجههـــا أشـــبه بتفاحـــة ناضجة،يدفعـــك مرآهـــا إلـــى أن تقضـــمها بأسنانـــك،كانت قبيـــل هـــذا قـــد أحضـــرت الشـــاي ،و أطبـــاق مليئـــة بـــاللوزوالجوز،ثم أخـــذت تأكـــل كمـــا تنقـــر الطيورالحب،وأنـــا مـــن فرط"الجذبـــة" أرى الأشـــياء" مقلوبـــة"،وهـــو" الحـــال",والكـــل يـــدور، ندور،نـــدور،في حلقـــة بـــلا نهايـــة ولا بداية،وأصـــوات تعلو ثم تنخفض،ويحضرني همس ترنيمة:

ارحـموا من ذاق الهـوى
و حالـه كحالـــي
سهر الليالـــي....

"قمريـــة"حين تبتســـم،تلألئ فـــي القلـــب شـــمس الصـــفاء،قلت لهـــا يوما:ـــ اجعلـــي الحـــب بينـــي

وبيـــنك مبتـدءا؛ولا تطيلـي التسـاؤل عـن سـفري فـي ليـالي الشـتاء،أيقظي الآن عينيـك،فظلي لـدي!اجعلـي الحـــب بينـــي و بينـــك،أيقظي الآن قلبـــك،واذكري العهـد! فـقد عاهـدت عينـاك ذات صـباح، قبـل أن أهـاجر،ليس لـي الآن غيـر ملامـح وجهـك،لكم هـو آثـم قلبك،لماذا يقترف كل هذا النسيان والجفاء.

ــ موت ليـل:ـ

هـذا هـو ليـل الشـغب ،والكـلام قبـلات،فهل جربـت أن تعـيش مـــع أنـــاس لا يفهمـــون لغتـــك ؟تقـــول، وأقول:بـل وقـد لا تفهـم لغتهـم !! أمـا أنـا فقـد عشـت وخبـــرت ذلـــك،حتى صـــار البـدر هـــلالا، فقـــمرا منيرا...!

والحا ل يغني عن الشكوبإ ليك وقد
عـــرفت حالي،وإن لم أ حكيه بفم .

والليـــــــل طـــــــال أو لـــــــم يطل،فقـــــــد شربناه،وتنفسناه،ودسناه،أكلـــــناه و نســـــيناه،أحرقناه وأزلناه،وصـــرنا نمـــلك منـــه أنماطـــا لا عـــد لهـــا ولا حصـــر،ولن تكـــون النهايـــة أو الفاجعـــة لـــو مـــات حينئـــــــذ...!

ــ كلمح بالبصر:ـ

فجـــأة عـــادت" قمريـــة" كانقشـــاع بـــرق خاطف،أضـــاءت مـــا حولنـــا واختفـــت فـــي رمشـــة عين،تاركـــة الوحشـــة،وبقايا حلـــم عـــن المطـــرودات مـــن الجنـــة،هي ممزقـــة الروح،مبعثـــرة الكيان،دومـــا كانـــت تعـــيش اكتئابـــا حـــادا وترتجـــي أن تطلـــق

الرصاص على كل شيء ،حتى تتخلص من زيفها و من الآخرين...!

يا دارة من قميرة يا مبسم العقيق
قم نغنموا الحضيرة و نمزجوا الرحيق
يا زينة المقاييس يا بدر في الكمال
الطرف منك ناعس والجبين كالهلال
والقد كغصن مايس والريق كالزلال

ـ غفلة:-

أنا لا أعرف بأن الربى الحالمة،كانت تقص ليلة حب مع نجم مل طول الوقوف في كونه الرحب، أو أطل من أفقه وحط عليها ناثرا فوقها سناه !! أبدا !و لم أرها تقص ليلة حب قد طوتها مع الندى المتقاطع،و لم أرها صبية تتوارى في حياء،لم أرها تلقن الروض درسا في صفاء الهوى،و نبل المشاعر....!

ـ حين ستأتي:-

حين ستأتي سنرقص على نغمات "الجاز"،سنلتقي نحن الإثنان في ارتماءة أخيرة!وسأعترف لها أنها غيرتني مثلما ولادة جديدة،أدخلها برضى واختيار،و سآتي إلى العالم الذي يصير لي كله، وسأمتطي ظله،فيه أكون مغسولا من صدإالسنين وتعفنانه،وسيطول بي سهري ويعود بي إشراق فألي،وأنحث الخطط على حجمي و مقاسي، أجل!سنبحر في كلينا،ونغوص نغوص،نغوص...!

ـ العرافة و الصفر:ـ

هـو ذا البـاب المشـرع،لمنه مغلـق بالسـواد،والأثواب الخضـــر،محوط بالريبـــة والخوف،قالـــت لـــي الســكرتيرة بعــدما حــدقت فــي وجهــي طــويلا باسـتغراب و"عينهـا ميزانهـا":لا يمكـن للعرافـة أن تـراك بـدون "رانـديفو" بإمكانـك الانتظـار أو المجـيء غــدا،تمعنت جيــدا فــي كلامهــا،ثم قســمته إلــى قسـمين،فاخترت الإنتظار؛ورمـيت فـي وجهـها غـدا و قلت:ـ هأنذا من المنتظرين... !

جلســت فــي قاعــة الانتظــار أتفحــص عيــون المنتظـــرين والمنتـــظرات،رأيت الرجـــلان وصـــاحب اللحيـــة والأقـــرع والمهيب،وأخـــذت مجلـة مـن المجـلات المتراكمة،وقـد مـررت عليهـا منتبهـا إلـى تقادمهـا،حتى جـاء الـدور،تودا" تعتـدل فـــي جلـــستها،عرافة عجوزســـوداء موشحـــة بوشـــاح أحمر،مـــوشومة الذقـــن والجبين،موشـاة بلآلـــئ فضية،مشـــدودة الأيـــدي بأربطـــة بيضـــاء،حينها رمـــت بعـــض البخـــور فـــي موقـــدها،وهمهمت بتعاويـــذ لـــم أميزشـــئا منها،اهتزقـــلبي جـــف ريقي،اصفروجهـــي، وانقبضـــت،تأملت كفي،فكـرت ثـم قدرت،فعبسـت و بصـــرت،ثم انطلقـــت تصـــفف الـــورق هامسـة:أنظرأنت رقيـق الإحسـاس جـداحين تـدس بقـدميك ظـلال الآخرين،تحـس بهـا للغايـة، وتحـول كـل المسـافات التـي تقـدرها بعينيـك،اعلم بـأن البحـر قـد أقسـم بأنـه سيرسـل قـوة موجـه مـرات

عديدة،وأقسم أنه سيقتحم يوما ظهرك،سيجعلك وجبة،هناك رجالا يخبئون عيونهم بنظارات سوداء،وأعينهم تضحك وراءها،أنت تقول لهم:-

" سادتي،أحاسيسي أورقتي،تتوقف على الظلال، وهم يضحكون وراء نظاراتهم،والذين لا يملكونها يبحثون عن شيء،نظراتهم تتراقص،وكلماتهم تتناثر،وأنت يا ولدي من بين كل اللغو تفضل النهاية،وثمة عيون ترمق خيباتك بشزر،وحين ستباغث نظراتهم ستسقط حتما أعينهم !وحتى أول لحظة التي ستعرف فيها فتاة،لم تكن تحس بأنها تمتلك ظرفا،لم تحس بانجذابها،فكرك كان منصبا فقط على تركها، والتخلي عنها،حاجة مختلفة تعتقد فيها،أنت يا ولدي عبثي للغاية،وجهك يفضحك،يخطئون في تقديراتهم لك،لاأحد يفهمك،لاتبالي بالخطأ،تبادر إلى الضحك على أي شيء،ولا شيء ثم تغرق فيه،انظر سيكون لك المال الوفيروسيكون لك جسد بألف وجه،وأحبة بلا عدد،سيضعون الشمس عن يسارك و القمرعن يمينك،وكل الأرقام حظك، قالت و قالت... ،قلت في نفسي:أرقام حظي أعرفها،الفاصلة بيننا،لكن الصفر صفر...!

ـ أحلام طويس:-

والآن أيتها العرافة خبريني بما لم استطع معك عليه صبرا،إني أرى في الحلم و اليقظة وفي كل مرة،أسمع رجع ذكرى،الصوت نفسه،رنة جرس كنائسي ونحيب وعويل وجؤارونقيق حفيف

وفحيح،وفـــرقعة أشـــياء تحترق،ووجـــوم لأشـــباح تـطـــل و تختفي،ونـحيـــب متصـــل،وأراني مصـــلوبا تأكـــل الطيـــرمن فـــوق رأســـي،ومن حـــولي الأشـــباح تحوم،وهـــوى يـــدخل إلـــى جســـدي وتخـــرج منـــه كـــالظلال تتعـقبني،وتمـــسك بتلابـــيب ظلي،فتشـــده وتعصـــره ثـــم وإنـــها وكأنهـــا تميتنـــي وتحييني،ثم ترفعنـــي وتطيرفتتركنـــي أشـــلاء،وأرى عـــن يمينـــي بحـــرا هائجـــا وأمواجـــا كالصخروأجســـادا مـــن بقايـــا طوفـــان نـــوح،وعن يســـاري رجـــالا ينحـــتون مـــن الحجرقبورا،ويموتـــون،وفي الخلـــف أرى عنـــزة ســوداء تـرقص مـن الألم،وأنـا بـين كـل هـذا أصـيح والظـــلال تجرنـــي إلـــى بيـــت مـــن النـــارحتى لكـــأنني أصـير فـي لحـظة أشـبه هـذه العنـزة وأنـــا الـــذي أذبـح و الأشـــباح يقـــرؤون علـــى روحي،وأصـــوات تقتـــرب وتبتعـــد ولا أكـــد أميزســـوى الرجـــل مات،الـــرجل حي،وأنفـــاسي تتلاحـــق،وصدري يضـيق،ثم تخـرج مـن جسـدي ظـلال تتمـدد فـي المكـــان فتـــأخذ شـــكل وجـــوه أعرفهـــا،ثم تتـــرنح مأخوذة،مشـدودة والصـوت نفسـه،لكن العرافـة ماتـت بعدئـــذ...!

- الشاون ـالصويرة ـتطوان :

99 - 2000

المسافة (3)

وجه...وطيف
ابتسامة بلا
رنين

- الساحة جرداء محفرة، وأكوام من الأتربة تمترست في كل مكان،كروابي وفوقها طفيليات، وأشواك، وبقايا قمامة ظهرت على حين غرة كحاجز رمادي، خلف الأبنية المشكلة أحزمة حمراء، تبدو مترامية الأطراف هناك...
- وسط الساحة قبالة السوق جلس"كبور" القرفصاء واضعا حصيرة من البلاستيك، وعليها بضعة ملاعق، وفرشاة أسنان، وساعة يدوية بالية، وقفلا بدون مفاتيح، وأنابيب مكسرة، وقطع نقدية قديمة، وبعض العقيق، وطنجرة سوداء، وتماثيل برونزيةو فضية، وأخرى متوسطة الحجم مذهبة اللون، وأقراص مدمجة باهتة، ودميةصلعاء شاحبة،بلا أعين،وبعض المجلات، وصورإعلانات.....،فقدت ألوانها من أثرالغبار،وحرارة الشمس...!
وأفواج من الناس يمرون عليه ذهابا وإيابا،يبحلقون ولايسألون،وهوالآخرغيرمبال ولامكترث لما يجري من حوله،دائم الإنشغال بترتيب وإعادة ترتيب كل هذه الأشياء، غارقا في السهوم...!
- هوالذي لم يقبض عليه قابض يوما،شربوه،وهاهو ضمن المجاري، غيرأنه مازال قادرا على المزيد من المكابرة!فجأة وقف رجل يشبه "كبور"إلى حد ما،كان فارع الطول،أسمراللون،صحبة طفل صغير سأل الطفل والده: ماذا يبيع يا أبي ؟!
ـ حنحن الرجل واضعا سبابته على نظارته،مبتسما ومتجاهلا السؤال ،جاذبا ابنه بعيدا...!
-أحس"كبور" بوخزكهربائي يسري في جسده، دورة، دورة،ساخنا حارقا،ثم باردا كالثلج،لم يعد قادراعلى الحركة والوقوف طويلا...!كله وهن...،وضع جلبابا على الأرض ليضطجع،ظهره المنخورلا يطيق البلاط...!
وسيقف لاحقا لترتيب،وإعادة ترتيب كل هذه الأشياء

مـرات عديـدة،متكئا الآن،يتـابع بعينيـه المنظرالطبيعـي المقفـر هناك....!

- السـاحة مـدخل كبير،هضـبة عظيمـة تتخللهـا سـراديب،وكهوف،وتلال ترتفـع بشـكل عنـيد علـى مشـارف المدينـة/الوحش...!التـي سـرقت منـه حياتـه،أحيانا يـأتي البـوليس للبحـث عـن الأشـياء المسـروقة هنا،فـإذا مـا حيـاه أحد،تجاهله،وقـد تنفـرج شـفتاه عـن طيـف ابتسـامة بلهـاء بـلا رنين،منزويـا كعادتـه فـي هـذا الـركن القصـي، مقطـب الجبـين،لا يكلـم أحـدا مـن هـؤلاء الباعـة المتجـولين المنبتين حوله، وكأنه ليس من هذا البلد...!

- فـي هـذه المدينـة/الوحش؟!كانت الصـيحات تجلجـل،تهز المدينـةهزا،كان"كبور"لاعبـا مدويا،لمسـاته للكرة،سـحره، أهدافـه كانـت تصـخب المدينـة وتنعشـها،الناس الـذين يمـرون الآن جيئـة وذهابـا،هم الـذين كـانوا يقفـون علـى المـدرجات أوخـارج الملعـب يحيونه،يصـفقون ويهللـون إكبـارا لموهبتـه الفذة،وهاهو ينـزوي بعد طـرده مـن الوظيفـة،و بيـع منزلـه ،لـم يعـد يشـغله أي شـيء،لاحركة السائرين،ولاهمسـات البائعين،صارأسـيرعالم صـامت لاحـدود له،وسـاكن إلـى الأبد!هوالـذي لـم يقـبض عليـه قابض،شـربوه،وفي النهايـة إلـى المجـاري...!- مـن قـال : " اللـي تعـز يـدل،واللي سـمان يهزل،ولطلع ينزل "!

-هـا هـو يقـف مـن جديـد،مقطب الجبين،غيرمكتـرث،دائم الإنشـغال بترتيب،وإعـادة ترتيـب كـل هـذه الأشـياء،غارقا قي السهوم... !

المسافة (4)

المســـــــــتروَح المضيء ...

"المقبرة"

أنت مدفونة في فؤادي
بمقبرة الذكريات...
وأنا بين الحين و الآخر
آتي لأزور ضريحك
وانتحب وحيدا...

" نــقــش"

"كيكو" ينام هنا
كان يحب رفاقه
لاسيما عندما يكون مخمورا
إنه ميت بلا شك
مع أنه لم يكن يدرك ذلك
لأنه عندما قضى نحبه
كان مخمورا للغاية

أنطــون بــوتجيج

- هـوالآن إنسـان بـلا صـدى،يفكرفتبقى أفكـاره جامدة،يتصورويحلم،تصـوراته،أحلامه هياكـل بـلا روح،لـو اطلعـت عليـه لوجدتـه مهمومـا فـي أحـوال النـاس الـذين يعيشـون فـي داخلـه،وكان إذا مـا تحـدث وجـد علـى الأقـل،من يوهمـه ولـومجرد الإيهـام بـأن هنـاك مـن يصـغي إليه،فيرسـل مـن فـؤاده كـل مـا يضـترم فيـه مـن أشواق،شـيء واحـد يملكـه الآن هوحـق التصـرف فـي حياتـه،فإن شـاء وضـعها تحـت عربـة،وإن شـاء قـذف بهـا فـي بئـر،وإن شـاء جعلهـا نعيمـا لا ينتهـي...!إذ لـم يعـد يـربط حياتـه أوخطواتـه بـأي كـان،لايكلم أحـدا،أخرس كالقبر،لقـد عـرف بأنـه كـان يكـذب علـى نفسـه،كأي إنسـان آخـر هـو يتسـاءل: - تـرى لـم يتحـول الإنسـان إلـى أكذوبـة سـخيفة لا تسـتحق الحياة...؟!

2- ثـم هـا قـد صـار يـدرك بـأن وقتـه كلـه ربح،لـذلك تجـده مهووسـا بلعبـة التأمـل والتألم،وفـك الرموزوالألغاز،فلطالمـا أحـس بأنـه لـم يعش،أوعلـى الأقـل حـذف مـن عمـره أجمـل مـا فيـه،وكم مـرة أحـس بانحسارإنسـاني،فقد أسـمى معانيـه الطيبـة،من أجـل كـل ذلـك ،كـان يـدور حولـه فـي فضـاء لا متنـاه،ومظلم أحيانـا،بلا حـب ولا حنـان،ولا قناعـة،أجل!كان يـدرك بـأن النـاس قبورمتنقلـة وخائفـة،مثلما تماثيـل منتصـبة،دونما نـبض أو روح،وجـوه مقنعـة،ألوانها الترابيـة الفاقعـة تصـدم،وكان هومثلمـا إطلالـة شـمس،أو كـوة مـن نورقزحيـة،في صـدره كـل الحب،ويـدرك بأنـه قبرمضـيء وسـط الظلام،ظـلام المقبـرة،وبين القبـور المتنقلـة الخائفـة،اطلع عليها،خبرهـا فـولى منهـا فـرارا ورعبا ،واختار وحدة راهب للأبـد...!

ـ3ـ تنتصب الوجوه والعيون مهرولة لمفترق الطريق،هوالإحتضار الذي يسكن الجوارح ويؤشرليوم الإبحار،وها هو يغادرالليل والطرقات،ويطيرمثلما تطيربعض الأحياء،كل الأحياء؛لكنه لم يقل للزهورالتي احتشدت على الطريق وداعا،ولم يقل للأصدقاء انتظروني،أجل لم يقل أي شيء...! فهل تراه يعود؟

4ـ هو لا يعرف ماذا يقولون عنه الآن؟فهل كان يقصد هجرهم هجرا جميلا؟لكن لما كنت أدعوه؟و يصيرصدري و صوتي وصداي...؟ولما كنت أدعوه لمطارحته همي وحزني في هذا الوجود؟وليغني معي؟كان يأتي...،لكن مرة فاجأوه على غصن قلبي...وحين أمسكوه،صحت دعوني أطير...!

5ـ أنا كنت أبدا أمرعليه،أرى عرقه يغسل وجهه،وهو يرفع فأسه و يهوي به على الأرض،كنت أرمقه بفضول غريب،وأعجب لهذه الحفرالتي ينحتها محطات جاهزة للذين يلفظهم قطارالأرض،وعلى عادتي مررت بجوارالمدينة الموحشة،أخذني فضولي كالعادة لأرمق حفارها البائس، ولم أر أحدا،اقتربت أكثرنحو شباك الجرار،لكني رأيت شيئا غريبا،قبرا قد دك في رأسه مقبض فأس،ووجها جديدا لحفارجديد،كان يهوي بفأسه على الأرض،وعرقا غزيرا يغسل وجهه....! مثلما بناية أثرية سامقة تتهدم،وذكرى تزول،قامت مثل برج،ثم انهارت،وصارالموتبلاعدد...،الرجل العجوز البائس،كمن صحا من نومه فوجد نفسه قد

أدخل في أحد المشاهد،أوهكذاكما بدا لي على الأقل،وكانت الأمطارتتساقط،وبداضباب رقيق على شعره الأبيض،كانت يداه المعروقتان ممتلئتين بالحياة السوداءالرطبة،وركبتاه مغموستين في العشب،يرتدي حذاءه القديم المقطوع في مكان الأصبع الكبير،يجلس سارحا في شيء،عندئذ،نهض عبرحطامه،نهض يحمل حقيبة بنية بالية،وعيناه ضباب رقيق من الدموع ،يتكاثف فوق خديه،و تجاعيد الوجه عناقيد من الأسى،بدت أرجوانية في شمس الغروب،أصبح نضجها ملائما للدود،كأنما- وقد كان من قبل- يزرع حلمه في أرض خصبة،كي ينمو غرسه في اطمئنان،يرويه نهر الحب الوافد من أعين القرويين البسطاء،والأطفال،ويحصدونه فلا وريحان،لا تغزوها الأحقاد،كأنما- وقد فتح أشرعة مراكبه- يحاول أن يدير الدفة في وجه التيار،لكن الموج يعلو،ويعلو،ويتناثر،ويعلم بأن عبورالنهريحتاج للرجال،لكن،هل كان العجوز حقا يريد أن يلقي بنفسه في رحم التيار...؟!

يمضي الفارس تحت قوس خفيض،يحمل في جعبته سيفا و حلما، يخطو فوق مياه النهر،يترقب خطوالأيام،وينادي،يشق بسيفه كل الدروب؛يريد أن يقطف هامات القهر،واجتثاث جذورالبأس التي أصابت أبناءه وأحفاده،وكي ينعم بعبيرالزهر،ترقب خطوالأيام و ينادي،وتقبل الأيام، تحمل ظلما،وتسحب أذيال القهرويثور الفارس،هاهو يسحب سيفه،رباه!فلم يجد النصر،ويا للمأساة!وقد ضاع وسط الليل،ويلوذ

الفارس بالحلم مرة ومرات أخرى.....،يجثو، واأسفاه!قد ضاع الحلم،قد ولى الليل وتبدد، ويعود العجوز البائس،لفارس،مأسورا بغير قيود إلى غربته،وبغيردموع تبكيه،هوالذي ضحى من أجل الآخرين،يعود وهما في ليل محروم،وسكون الغربة يخمد في الفارس سيرته،ويبكي الفارس،دموع العجوز جمر،احتراق،يهصرالقلب،دموع الفارس حرمان،وبحارتاهت منها الشطآن،فمن أين لي يا فارس الزمان أن أضمد جراحك و جراحي...!؟ قد سرقت منا أجمل الأمنيات،سرقت من عيوننا أجمل الصور،وحيدان في الغابة،وحيدان في الليل،مثل قبرأنكرأصحابه،أوكمن يفتح بابه ويطل برأسه،ثم يقفل الباب بسرعة،فيفتح الباب ثانية،لكنه لا يطل،ويقفل الباب،وكأن الموت يترصده، أوانصرف من أمام بابه،وحتما سيفيض البحر بالدموع،والسماء ستمطربلسما،عندما تقرع أجراس الغياب برنينها،والفجرسيسطع بنوره الثاقب.

6- كل شيء معد الآن تماما...وكان القبر قد مهد بحيث يستطيع أن يستضيف النعش الجديد،كما أن التراب قد فرش حول القبر،إلى جانب الأحجار الكبيرة المتراكمة... وتصل عربة ميت و قد وقفت، يتبعها لفيف ضئيل من الناس في ثيابهم البيضاء،توقفت عند ابتداء الممرالمغطى بالرمال،وعندما وضع الحمالون النعش أمام فتحة القبر بدا أن عيون الحاضرين جميعا مصوبة نحو الحفرة الجائعة، و بالجانب رجل عجوز بقبعته البيضاء، تهبط إلى أنفه،وجلبابه الصوفي الذي

تعبث به الريح،وبين وقت وآخر كنت أرى بفضول،عينيه اللامعتين الضيقتين مصوبتين إلى قلب القبر...!أحسست بالعرق يتصبب مني،وبرعشة باردة وصلت إلى أحشائي، وبقيت متصلبا في مكاني، زائغ النظرات... كان صوت المرتلين يخرج بطريقة رتيبة كما لو أنها تخرج من أفواه غير أفواههم...ثم ران على المكان صمت رهيب..

رماد يحاصرني من جميع الجهات بسحب مقفرة حزينةوالحفرة الجائعة تتسع وترتب أحجارهاعلى بعضها البعض،وتتكئ مثل حنيني المشتبك،لكن سرعان ما أخرج من المقبرة،ترافقني الذكريات السحيقة المبهمة،ألبستهاعلي نسائم عليلةهبت، فمست حنيني الذي كان قد همد،آه كم بكيت..!

توشوش في صدري قصص العابرين في صمت،وقد مروا من هنا دون أن يقولوا كلاما،أويصدرواسلاما،أويتركواوصايا،لكنهم كانوايحلمون بحياة جميلة، بمطردفاق،وبالخبزوالورود،وكانوا يتمنون،ويودون أن يفضل الناس أطفالا ضاحكين للأبد...!لكن،ها نحن مازلنا نموت على الكآبة، ونحيا على الغل والحقد وسوء الطوايا والنوايا...!

7ــ هاهم يشيعون الجثة في صمت،ويتفرقون في صمت وجلال،وقد جادوا عليه بدموع حارة،ثم لاذوا بالإنصراف أوالفرار،بينما بعض السكارى والمتشردين ينطون عبرأسوارالمقبرة في بطء،وينتظرون في صمت،موتهم هناك،ويخيم الصمت الليلي الرهيب...!

8- رصاصيا،شـــاحبا،كان ذلـــك اليوم،والســـماء مســـــيجة بـــــالإغتراب والرحيـــــل،والأوراق تتطاير وتتناثر مثلمـــاخريف أوشـــتاء قـــارس،من قـال بـأن الصـيف يصير شـتاء،لم يعـرف بـأن دوام الحال من المحال...!

9ـــ هـــاهم الآن يتغنـــون بســـماحة قلبه،بشـــهامته أنفته،وبإنســـــــانيته وســـــــموه،كان ســـــــيد الرجال،نير العفـــة،دمث الأخلاق،عميقـــا وباطنيـــا كـــــــان،و يـــــــا مـــــــا كـــــــان ...! كـان طفـلا حنونـا وديعـا،لكن شخصـيته المهيبـة كانـت قـد اقتنـت شـيبا يليـق بألمها،وحزنهـا الشارد،ألا ما أطيب ذكراه !

10ـــ أودعـــه رغمـــا عني،ويمضـــي إلـــى حيـــث تستريح روحه،وجهه مشرق كما لو كان موته اختيـــــاره،ولن أحتمـــــل فراقـــــه المفـــــاجئ، ولكنك..!لكنـك لـن تمـوت أبـدا،ما دمـت سـتعيش للحب،وســـــينبض القلـــــب باســـــمك،وروحي ســـــترتدي روحـــــك،ولن يمـــــوت اســـــمك الحبيـــــب.....!قلبـــــك النـــــابض بالصـــــدق والإشـراق،وحب النـاس لـن يتوقف،وسـيدق مـع دقات كثيرةإلى الأبد...!

11ـ تعاليـت مـاذا يهمـك ممـن يـذمك... اليـوم يومـك، تعاليت،ماذا يهمك ممن لم يذكرك، ولن يذكرك.....

تنغير- ورزازات
93/03/ 15

المسافة (5)

حياة التي
تحتضر...!

اكـــتمل قـــرص القمـــر فـــوق عشـــة الفـــراخ فـــي الـــــــخارج وأرســـــــل شعاعا،غســـــــل وجههـــــــا الصغير،دارتبيدهاحولـــها تبحـــث عـــن عروستها،تحسســـت معالمها،وابتسـمت عنـدما اسـتقرت أصـبعها النحيلـة فـي الثقـب مكـان العين،حملتهاوقامـت فـي هدوءتعبرالأجسـاد النائمـة فـي أرض الغرفـة الضـيقة...ما الشـيء الـذي يجمعهـم فـي هـذا المكان؟وحـده السـقف الـذي يـظللهم هنا،وربمـا مكـث أحـدهم فـي الغرفـة لأنـه محموم،أوتظـل واحـدة بطنهـا منـتفخ تتلـوى عـدة ليـال تنتظـر أن تلفـظ سـاكنا جديدا،يصـرخ وحـده و الكـل نيـام...لن يتفقـدها أحد،الصـغاركثيرون،والتراب الـذي طمـس معـالم الوجـوه يجعـل اخـتلاف طـول القامـة وحـده السـبيل لمعرفـة الولـد مـن البنـت،تعرف أن اسـمها حيـاة، وتلعـن الحياة...وسـط المقبرة،يرقـد أيضـا هيكـل العربـة الخربـة، الـــذي يتلاشـــى تـــدريجيا بـــين أكـــوام القمامـــة، سـمعت أصـواتا صـاخبة تـأتي مـن داخـل الهيكل،فاعتلـت فـراغ حديـد النافذة،وجلسـت تهـز سـاقيها إلـى الـداخل،لم يرفـع أحدهمعينـه إليهـا ،مسـحت بيـدها علـى وجـه العروسـة، وزرعـت أصـبعها مكـان ثقـب عينيها...العروسـة التـي كانـت قـد التقطتهـا خـلال جولتهـا فـي المقبـرة كانـت ملقـاة علـى ظهرها،تنظرإليهـا بعـين واحدة،لـكن الـضجيـج واللغـط يترافـــع،ففزت مـــن الشـــباك لتجـــد نفســـها فـــي الطريق...،احتضـنت عروستها،وتسـللت بجوارالحـائط،حتى لا يـراهـا الحـارس لكنها،فوجئـت بهيـكله الـضخم أكثـر سـوادا مـن الليـل حولها،سـألها عـن وجهتهـا فـي هـذه الساعة،فـرت هاربـة،فلاحـقها بـسيل مـن اللعنـات موجهةإلـى كـل الـذين أنجبواأمثالـها،عبرت محطـة القطار،هنـاك الأرض المهـجورة التـي تزحـف إليهـا الـكلاب المسـنةالضالة،وتمكث رابطـة بـلا طعـام فـي هـدوء حتى يأتيها الموت...!

وزان:97/4/2

المسافة (6)

ولوومض
صورة ...!

شهرمرعلى لقائهما الوحيد،لاشيء تغير،فصورة الحسناء بوجهها البض المستديرلا تبرح مخيلته،ها هي ذي ماثلة الآن على زجاج النافذة،بمعطفها ذي القطيفة الخضراء وهي وسطه كزنبقة في توهجها،البسمة تعلومحياها،كما لو أن الحافلة قابعة في مكانهالاتتحرك،جذوع الأشجاروالبنايات السامقة تجري في عينيه ،ينطلق في نفسه صوتها وهو يسترجع حديثها ،وبعض الذي كان يدور في خلدها،كان يحاول إقناعها بأن الحب ينبوع الحياة،وكان الصمت يفصل بينهما للحظات،كما لوأنهما يستعدان للمزيد،وحين التلاشي ، لم يلبث أن اهتزاللحن في داخله،حقا شيء رائع،والحب لا يمكن تحديد وقته،قد يأتي لاحقا ، هذا ما حدده هوعلى الأقل، في بداية الأمر،أما هي فقد اهتزت ،أحست بقوة في أعماقها، مثل قوة إرادته وانتظاره،فجأةاستفاق منغفوته،حينما توقفت الحافلة،هناك حادثة مروعة على الطريق

.

* * * *

كان الوقت مبهجا ناعما، كلمس ساعد فتاة عند استدارته الممتلئة قبل الكتف ، زاحمه هذا الإحساس المباغت،وأوصله إلى فرح ليس له جدران،راقه منظر الأشجار،وأمواج البحر،رائحة خاصة تفتح براعم الجسد الشقي ،المتعب من السفر،الموعد لم يحن بعد،انتحى ركنا،واستقبل جسده مقعد تلعثمت قوائمه،حين ألقى بثقله فوقه،جلس يفكرأنه يسبح مثل سمكة في هذا الغطاء الرمادي من الضباب الكثيف،هناك رجلان يتحاوران،بل شاب وفتاة تصغي إليه،ويدها تشتبك بيده،بينماهويحترق،ولايودأن تطفئه اختلاسة نظرمباغتة من دخيل،نهض من مكان جلوسه،وغادر المكان منتشيا راح يتجول وهو يترقب حضورها المرفق بألف احتمال،لم يبرح مكانه حتى بدت غارقة في شفتيها الكلمات،لم تصدق وجوده،حسبتهامزحةمنه،وتوقعهالم يكن في الحسبان....

قضـــيا نهـــارا فـــي المنتزهـــات المحيطـــة بالمدينة،كعاشـقين يعرفـان بعضـهما الـبعض منـذ زمـن بعيد،وعنـدما أعربـت عـن مخاوفهـا مـن هـذا الحـب فـي المقهـى، تهكـم قائلا:ـ لعـل أحـد تجارالسـوق السـوداء باعـه كتحفة للأبد ،وربما احتفظ بـه في ثلاجة كبيرة كي يبيعه في عبـوات خـارج التسـعيرة وبـثمن مرتفـع،ثم أخـذ نفسـا عميقـا مـن سجارته،سـعل بعـدذلك بشـدة ولعلـه كـان يضـحك...!حـاول أن يطمئنهـا قلـيلا،ثم أردف مبتسما:ـأنا أيضـا خـائف،غيرأني منـــذ يـــومين رأيـــت إحـــداهن، وخيـــل لـــي أننـــي جاهزلحبها،أنهاســـتبادلني الشـــعور ذاته،وبـــدون اســـتئذان تراخـت إلـى جـواري، فـوق طـرف المقعـد تفحصـني بعنايـة فائقـــة،كأنها تريـــد قـــراءة طـــالعي مـــن خطـــوط وجهـــي وســـحناته،وتقدمت لأغـــرق فـــي عينيهـــا الناعســـتين ولونهمافجـــأة، نهضـــت مـــن أمامـــه،كأنها تحـــاول الإنصـراف...لكنـه جـذبها مـن معصـمها قائلا:ـ دعينـي أكمـل كلامي،فأنـا لـم أسـتطع نسـيان صـورتك،حاولت فقـط أن أختبرغيرتـك يـا حبيبتـي ، إننـي واثـق الآن بأنـك تحبيـ ... لكنهـا سـرعان مـا كممـت فمـه بكـف يـديها، ولـم تدعـه يكمـل كلامـه،عانقها بقـوة ثـم نهضـا،حاول أن يزيـل مخاوفهـا قبـل مفارقتها:ـ لقـد كنـت أمزح،كنـت أعاكسـك،إنك تنظـرين إلـى كـــل شـــيء بمنظـــار أســـود، ولـــن تلبثـــي أن تصـــابي بانهيار،فخـذي حـذرك حتـى تبرئـي تمامـا مـن صـدماتك، حـاولي أن تغيـري نفسك،فسـرعان مـا سـتبدد هـذه الأفكـار وتتلاشـى،فالمرء إذا اهـتم بكـل مـا يجـري حولـه،لن يسـتطيع العيش.

* * * *

بـدت طفلـة بحـت الحنجـرات لأجـل اسـتمالتها وهـي عابثـة ،أتلفـت سـرج مـن يمتطيهـا،لم تعشـش عنـدها السـكينة يومـا منـذ فارقـت أمهـا،فحتى ليلـة أمس،كانـت نادلـة ثـم خادمـة ،

تطبخ ، تكنس ، تلاعب الأطفال ولا تنام،تقوم بكل الأعباء مقابل الستر،حتى صارت لؤلؤة،وغرائب أخرى، سكرا من نار.

الماضي تاه ،وضل وحيدا ومعزولا،غادرت فيه قريتها،حين نحتها زوجة أخيها،الذي أقنع أمها بعريس أرمل يكبرها،فقد كان له أبناء،ولذلك فضلت الهروب،وبعدها قررت أن تشق طريقها،ليبتسم الحظ بعض الشيء،وتلتحق ببعض المصانع،هي الآن تحاول أن تتناسى جاهدة،تقظم ظفرا،ثم آخر،وتفكرفي صمت.

* * * *

كانت الليلة حالكة،عندما رجع للمحطة ليمتطي الحافلة ويلتمس طريق العودة،مشى بعناء،رأسه ثقيل،أضعف من قط ليلى،صاركل الألوان،يحلم أنه قيثار،وأنه كل النوتات،وأنه يملك أن يرحل، وأنه دخان تصلب،وأنه...،في هذا الوقت بالذات أوقفه صوتها :ـــ انتظر،انتظر،خالد....!

برزت،ثم اقتربت منه، وبعد أن تمعنت فيه وقتا طويلا، ابتسمت،ثم أخذته من يده،لا يهم الجيران!، لم ولن أستطيع مفارقتك، ثم أردفت:ـــ بإمكانك البقاء حتى الغد ... ثم توغلا في شوارع المدينة،نحومطعم السمك، وسوق "برا" والسوق "الداخلي"،ثم بعد ذلك عرجا إلى السينما...

كان الوقت متأخرا،والظلام كثيفا، والهواء ثلجا،ريح الشمال تنفخ،ثم تاها في الدروب المظلمة،حتىوصلا إلى البيت،دفعت الباب الذي صر في حزن،أومأت إليه بحركة يدها للصعود،بينما تولت هي إلقاء نظرة على بيت الجيران بالأسفل،تقدمت ببطء في الفناء،سدت الستائر،كان هناك شبح امرأة وراء الستار،يفصح عنه قوة الضوء من الداخل،كما أن رائحة البؤس تشم من بعيد...،كانت الأيام قامية،موحشة،لم تعرف فيها إلا بسمات قليلة وجلة،ومرة

تأتي على استحياء،كانت تشتهي خليلا يطرق باب قلبها بالورد،غيرأن الخوف، والجراح لم تندمل بعد،والجرح كان يتسع،فهي دوما تشهرالرفض في وجه الموج لبحرالعيون المتحضرة...لكن تلك الليلة،رقصت رقصا لا ينتهي على موسيقى شعبية، شربت معه نخب الحياة، وكانت الليلة سكرى....

أدرك بأن ابتسامتها تلألئ في القلب شمس الصفاء، حينما تطلعت نحوه وابتسمت، فكت أربطة الثوب إلى أن سقطت حولها إلى أسفل،تاركة صدرهاعاريا،ثم تناولت يده ووضعتها على صدرها،حدق كالأبله إلى عريها،ثم نطق باسمها،وأمسكها وقد أومأت،إليه فأخذ في تقبيلها بقعة بقعة،وهي تتقلب يمنة ويسرة، تارة تضحك،وطورا تتأوه....

تردد في الإستيقاظ ليس أكثر مما يطرق جفن العين،في تلك اللحظة عاد الشعاع إلى منبعه،وذهب الطيف دون أن يعرف إلى أين، ونادى بأعلى صوت:ـ" زهرة"، فعاد الصدى مجسما بألسنة شتى،حتى بلغ منه اليأس، وأخذ منه الجهد،كان هناك شجرة بلح يلمع نوارها،تهالك عندها،فجأة،أحس بنعومة اشتهاء،وضوء رهيف ينسكب على وجهه من عينيها،شرب منه حتى بلغ منه الظمأ غايته،وهي شاخصة إليه بابتسام:ـ زهرة الوقت حان!

ـــ كم!كم الساعة !؟يضغط على زر متدلي من خيط،فيضيءالمصباح،تستيقظ زهرة وهي تغالب النعاس،لتحضرالفطور،لكنها تفاجأ بجارتها التي تسكن الغرفة المجارة،والتي كانت تعمل طوال الليل،أصبح صعبا أن يبرح خالد الغرفة،وإلا انتبهت جارتها،أحضرت زهرة كل ما يلزمه،ثم أقنعته بفكرة البقاء في الغرفة،وحيال تعبه لم يكن بوسعه سوى تقبل الأمر،تركت المسجل مفتوحا،ولم تقفل من الخارج كما لو نسيت ذلك،طالما أن هناك أمان،وخرجت مسرعة....

تلقائيا يتوقف المسجل،وتختفي أغنية راحلة،راقبها طويلا حتى امتصته كل دقيقة من حركاتها،وقدابتلعتها الشوارع الصناعية ....

خلف وجهه،كان زجاج النافذة المغلق،يؤطرمستطيلا من سماء نهار مشتاة وغائم، تمتد كخيمة فوق أطراف المدينة،والغرفة التي يصرعلى عدم إشعال أي ضوء فيها إلا بعدأن تغرق تماما في الظلام،صارت قفرا صاخبا،وهوكإبرة داخل هذا الركام من الأمتعة المتناسلة المعيقة لأدنى حركة، ترنيمةالطيورتمرجانبا،أثارانتباهه طائرمقصوص الجناح يحط على شباك مجاور،وكانت عقارب الساعة تسير بطيئة نحو العدم،والهواءبارد،تثاءب كثيرا قبل أن يستلقي على الفراش من فرط ليلة ساهرة،وهو يتساءل:ـ ترى هل كانت مصادفة، أم أن الريح تخلط الأوراق ككل مرة ومن جديد؟!.

شرائط من نورالنهارتفرش الغرفة،اندفع،طل عبرالنافذة!ثم فتحهاقليلا،لم يمروقت طويل،طارالنوم من عينيه !

الهواء عبق،شعربصفاء عجيب وتهيأ للحب، فقررالتأنق، مضى الوقت رتيبا وكئيبا، حتى كاد ذهنه أن يتشتت بين التثاؤب والتناوم، وضجيج صبيان الجيران،حاول أن يشغل وقته،فقررأن يحلق ذقنه، المغسلة بالخارج،وليس بإمكانه أن يبرح الغرفة وإلا فقد يبصره أحد،ويفتضح أمره،داخل الحقيبة التي حملها معه أدوات الحلاقة،وأمامه وعاء صغير للتبول،وقنينة ماء للشرب على المائدة،تنقص المرآة فقط ،فكر هنيهة،ثم اهتدى إلى زجاج النافذة المواري،والتي كانت تعكس وجهه قليلا،أوصله إلى أكوام من الأوراق،المجلات،الصور،الرسائل وبعض الأقفال،وحقيبة كبيرة بالية تحت السريرالضيق،وفي لحظة

توقف نبضه من الفزع،المفاتيح تجلجل المكان،وصرير الباب يسمع،تلصص من خصاص دفة الباب فإذا هي قامة امرأة في مقتبل العمر،شغوفة بوليدها،والذي لا يسمع له آهة أوأنة،كانت تغني له،ويبدو أنها لم تحفل بشيء،ولم يمض غيريسير، حتى انكبت تغسل شعرها، الأكمام ملفوفةإلى الأعلى، والأزرار مهملة،وشعرها غيرممشوط،ثم راحت تغني من جديد،كانت تلمع مثل نجمة الصباح،فهوت فوق صندوق خشبي تقشر الخضر ،بعد ذلك حملت وليدها من على ظهرها ووضعته في مهد بال،ثم أخذت سطلا وبقوجا واتجهت إلى المرحاض،وهو قابع في مكانه يتلصص من خصاص الباب،كان شارد الفكرمتأملا في جسدها الناعم،وجيدهاالبض،ونهديهاالأبيضين البارزين،وخصرها الدقيق،راقبها طويلا،أعيته هيأته،ولما حاول تغييروضعيته التي لم تكن مريحة،أسند ركبتيه علىالباب فأحدث صريرا خافتا،خلالها انتبهت المرأة،فحدقت في باب الغرفة،فقد فطنت لشيء ما،أما هو فقد تجرع غربة مميتة،وعاد ليتمدد على الفراش من جديد،وهو يمشي على أطراف أصابعه،يفترض أي احتمال،ما الشيء الذي قد يحدث الآن ؟! ـ أسئلة كثيرة تخطر بباله من جديد !!!

جفناه ثقيلان،مرفوقان بمقاومة رغبته الآسرة في النوم،أحس بأنه عاش يوما مداه ربع قرن،ثم اندفع في حذر إلى النافذة،مترقبا عودة "زهرة"...

* * * *

كانت رقعة السماء تعلن عن غروب آخر،سمع فجأة صوت رجل يصعد السلاليم،وصوت صبي يقول :ـ هنا!هنا تسكن" زهرة"،وقبل أن يتقدم الرجل،اختنق كل شيء في حنجرة خالد،وبعد صمت وترقب شديدين،وقفت المرأة بوليدها تستقبله،ثم تصرفت بفطنة عالية منها،فقد أدخلت الرجل غرفتها،وأمرته

بانتظار" زهرة" التي لم تعد من العمل بعد... ثم توجهت في حذر إلى غرفة" زهرة"،فتحت الباب الذي لم يكن مقفولا،وحذرته من مغبة أن يراه أحد،ثم أمرته بالانصراف قائلة له :ـ عليك بالرحيل فهذا زوج أخت "زهرة" قد حضر،وقد نصحته بالإنتظار بالأسفل مع توخي الحذر،دون أن يتبادلا الكلام،اكتفى هو بابتسامة فيها التودد والإمتنان،بينما رفعت عينيها نحوه، وكانت مغتمة،وبعد هنيهة جاءت "زهرة" أخبرها كل شيء،ثم خفضت رأسها ورفعته،لتقول في لهجة مصممة :- طيب ارحل!وانتظرسفري إليك،وسوف آتي عندك بعد أسبوعين،لم يستطع إضافة أي شيء آخر،وانطلق بخطى سريعة،أحس أثناءها أنها تراقبه من بعيد،وأنها تلوح بيدها...

وحده يصحو من غفوة الوله والعشق، ليدرك بأن الفراق قد حان، وليس بالمخيلة ولو ومض صورة...

طنجة:98/08/07

المسافة (7)

ذو الوجه الفحمي

وجه فحمي،أجدني مرارا أعصر مخي لأتذكر أين واجهني، أو واجهته،فهذه الأسنان المتآكلة،وهذا الأنف العريض،وهذا الفم المنفرج باستمرار،وهذان الحاجبان المقوسان مثل القارب،وهاتان العينان الحزينتان،ليستا غريبتان عني،كان يرتمي على كؤوس الشاي والقهوة، ويحتسي المشروبات التي يجدها فوق الموائد المتراصةعبر بوابات المقاهي، بعد مزج بعضها ببعض، ويحرص على الابتسام، وهو يلقي دروسا في الفلسفة والأدب والتاريخ...،ثم يرتشف من الكأس الممزوج ويعود ليلعن البشر،الناس ينظرون إليه في امتعاض،وهو غارق في الضحك،فجأة انقض عليه النادل المشدوه،لكن حركات يده لم تتوقف عن تلقين الدروس،ولعناته تجلجل المكان،النادل ينهره بحدة،لكن ذو الوجه الفحمي، يصير مثل طير الصاعقة، المخالب كأظفار النسر، ها هو يعريه من ملابسه ، يمسك به بمخالبه ، أخذ يخنقه حتى خمدت أنفاسه ، ثم ما لبث أن بدل هيأته، فصار ساعداه مثل جناحي الطائرالكاسر،مكسوتين بالريش الكثيف،ثم أمسكه وقاده، يسلك الطريق الذي لا عودة لسالكه إلى دار الظلمة، إلى البيت الذي لا يرجع من دخله، والذي حرم ساكنوه من النور، حيث الحجروالطين،والتراب طعامهم، وهم كالطيور مكسوون بأجنحة من الريش،ويعيشون في ظلام دامس،لا يرون نورا.

والناس هنا وهناك في طوابير متراصة،أمام جنبات المقاهي ينتظرون عودة ذو الوجه الفحمي،فهل تراه يعود؟

تزنيت 98/11/20

المسافة(8)

الطفل/الكهل

ـ الطفل الصغير كنته ذات يوم،أعرفه،وكيف لا؟!
لدي بضع ملامح،بضع صورمن حياته القصيرة المتراقصة كأفكار مضيئة.... ثم هاأنذا جمرة ساخنة تشرع في الإنطفاء من قسوة برد وقبح هذا العالم،أشعربشفقة يشوبها المزاح،وأنا أداعب ابني الصغير،أعانقه،أشمه وأقبله،يلاكمني،فأتظاهربالسقوط يمنة ويسرة،وكالببغاء كان يردد كل ما يسمعه من كلمات،يتعتع،يتعلثم حتى تنساب الكلمات وتتمطط دلالات جديدة دافئة،وحين أطوقه بدراعي كوحش كاسر يريد أن ينقض على فريسته من فرط الحب،إذابه يقف،ينظرثم يعدو،صائحاالنج...دددآآآآة، وكأنه يحاكي مايراه من رسوم متحركة على شاشة التلفاز، كانت تستبد به نشوة عارمة،فتحل السكينة على كل الأرجاء محل الجلبة والحركة،عندما يرى تلك الرسوم،حركات القط المتوثب القاهر،ومقالب الفأر العنيد،وحينما أريد إغلاق التلفازأوالإنتقال إلى معرفة الأخبار،وما يجري في قريتنا،يأخذ جهازالتحكم وينتقل بين الصور،فتغدومسرعة كالبرق الخاطف،يرمي الجهازثم يعدووسط الدارإلى المطبخ،ثم يتركني مع برد و قبح العالم،والغلاء و الحوادث،والحروب والإنتخابات والزلازل والفيضانات،والميزانيات والجمعيات،والنهب والإحتيال...لاشيءتغير،الأخبارهي الأخبار،والوجوه هي الوجوه،وجوه أدمنتها خبرتها،أعرفها وتعرفني، فصرت كلما نظرت إليها،يصيبني الغثيان والدوار.
- وحين يعدوطفلي سريعا في وسط الداروفي يده قطعة خبزوبعض البطاطس المقلاة،أناديه فلا يجيب،وفجأةيقف بباب الغرفة قرب الجهاز،محركا رجليه كما لو أنه يرقص،يقضم خبزه،يرى،يسمع،ثم يردد الكلمات كالببغاء.
- كان النائب هناك يقول:ـــ إخواني أخواتي:التعليم، التعليم ثم التعليم،وطفلي يردد وراءه

الكلمات نفسها، يسألني صغيري:أبي أرأيت إنه يكرر مثلي،لم يردد هذا يا أبي ؟- يقصد ... ربما،لم أجدما أقول،ثم أردف : -السياسيون يا بني ملزمون بالتكرار لجعل الآخرين يصغون إليهم باستمرار وحتى يحبهم الناس،- مثلي يا أبي!ثم يجعلني أغرق في الضحك،أعرف بأنه لن يفهم،ومتى كنا نفهم!فالكلمات بهذا الجهاز،فأر مخادع ،زئبق،ماء ينفلت،فأشرب عطشي كي أنسى ما ينتظرطفلي وكل الأطفال من المجهول،ستولد الألوان والكلمات، ثم إلى العمق السخيف،فيصيبني الغثيان والدوارمن جديد،أقفل الجهاز،-غدا يا بني سنذهب للبحر، أقول لابني ...،- متى سنذهب ؟ – غدا يا بني، سنذهب !

- سنذهب لساحة الألعاب!

- لا ! إلى البحر للسباحة...

-(يردد)- متى سنذهب .....؟؟؟

- قريبا سنذهب يابني !

- الآن،الآن يا أبي ... يلاكمني، ثم يجري صائحا :النجددددة داداداآآآ

ـــ بعـد اليوم،شـيء واحدأدركـه،هو أنـه لـولا اللطـف الإلاهـي لنفـد إلـى البحـر،ولن يكتشـف أنـه لايعـرف السـباحة إلا بعد فوات الأوان !!
ثـم هاأنـذا جمـرة سـاخنة تشـرع فـي الإنطفـاء مـن قسـوة بـرد العـالم ،أشعربشـفقة يشـوبها المـزاح،وأناأقبل ابنـي الصـغير، أتـذكر القليـل مـن الأحـداث،مع ذلـك سـأجعل الكهـل الـذي معـي الآن،يضـحك مـن قـبح العالم،وقسـوة برده،ويطـوقني بذراعيـة،ولن أسـقط لا يمنـة،ولا يسرة،وسـأعرف السـباحة، قبل...قبل فوات الأوان !!

المسافة:(9)

قناع الريح والهشيم...

أنا الرذاذ!أنا الشبح !أنا الريح،أنا القناع!فكيف يسقط الصبح حزينا منكسرا!؟وكيف ينضج الحزن المغبون في بكاء القلب؟وكيف تورق الهموم في الضلوع،في الورق؟ يقول الممثل(وهويجري من اليمين إلى اليسارعلىالخشبة)،مسحت زجاج نظارتي،لم أستطع أن أتبين شيئا،شئ ما كان يتحرك في ذلك السواد أوهكذا بدا لي على الأقل،ربما صحن طائرشبح قتامة،والممثل لازال يصيح: كيف يسقط الصبح؟وكيف ينضج الحزن؟(يهرول بين جنبات الخشبة)رفعت يدي أشير إليه،لكنه لم ينتبه إلي رفعت يدي مرة أخرى،وحاولت أن أبتسم لأجذب اهتمامه،وفي تلك اللحظة وأنا أناديه،انفجرالممثل وغاصت القاعة في القهقهة،التفتت،لم يكن هناك أحد،فقد مضى وقت طويل ولم يحضر أحد،في وسط الخشبة كراسي خشبية متعانقة،وصناديق،وفي أقصى اليمين أعمدة وإطارات أفقية تشبه السجن؟وأثواب فاخرة مدلاة؟وأقنعة مختلفة الملامح والأحجام،والممثل لازال يجري من اليمين إلى أقصى اليسار،يصيح،تشعل ملابسه نارا رافعا يديه كأنه يريد الطيران،عبثا يحاول أن يطير فأجنحة الريش التي وضعها على طول اليد والذراع،لاتصفق ولا أحد هنا غيري يصفق،والممثل المسعوروحده يصيح،يردد، يقف ويسقط،،دائم الصراع بين الأحاسيس والنيران في ملابسه لازالت مشتعلة،لعلها خدعة،أوهكذا توهمت،فقد مضى وقت طويل ولم يحضرأحد،والممثل لم يحترق،ولم يمت، يقف بصعوبة،يتمايل يمينا وشمالا،يوشك أن يقع على الخشبة،يقترب قليلا من وسطها،ينكشف الوجه الغضوب عن فجاءة الفرح وراء القناع،أنا الرذاذ!أنا الشبح!أنا الريح!أنا القناع!.

انزويت في ركن قصي،جسمي يرفض الإستمرار في الشرود،ظهرالممثل هذه المرة مصلوبا،وكأنه شيء من بقايا رماد،تعدد من خلال هذه المرايا التي بدت وسط

الخشبة،وهو يصيح،أين هذا العري؟أين تختبئ هذه الأنا؟ ومن هذاالجسد؟أهو أنت؟؟؟ أهوأنت؟؟؟ وجهك البعيد،جعله الزمن شاحبا باهتا كوجه الموتى،مرارة العجز والقنوط والقهر،ثم يعيد،أين هذا العري؟هذا الزيف؟ فانكفأ على إحدى المرايا محتضنا خياله الذي ضمه وانزلق،وأنا كما أنا،لازلت منزويا في ركني القصي.
لم أر الممثل ولانصفه،السواد هوالسواد،ولم أحمل معي نظارتي،كما لوأني كنت أعرف بأني لن أر شيئا،ولا أحب أن أنظرإلى الأمور"فشي شكل"،أمشي متكئا على الحائط حتى يميل،ويشرف على السقوط،،وأتجنب ظل ظلي، شبحا!قناعا!قد أكون،ريحا رذاذا أكون!

الريح هي الريح،والممثل لازال ساقطا،والأوراق تبعثرت في كل جنبات القاعة،وتحتأرجل الكراسي الفارغة،الفصل الأول الذي لم أحضره،والفصول الأخرى التي انقطع فيها التيارالكهربائي،وغابت فيها الإنارة بكافة ألوانها وفصولها،والمشاهدوالمسامع انفلتت وقدضاع النص بين الأرجل،والممثل الوحيد مازال ساقطا على الخشبة حتى الآن!الأوراق لابداية لها ولا نهاية،ولا تحمل أرقاما أو سلسلة أبجدية؛ثم ها أنذا أراكمها بشكل عشوائي بدائي،قل ما شئت!فالظلام أيضا كان يكتسح القاعة، فجأة يقف الممثل يصيح:ـ تحركوا!إن هذا العالم الموجود أمامكم يتعذب في رقعة ما من الأرض هيا تحركوا!فالأخطاء والظلم سيستمروسط هذه الخشبة،ولا أحد منكم سيحرك ساكنا ! لن تتلذذوا بعذابي بعد اليوم، سأصير هشيما،وستدروني الرياح!وستخرجون إلى الحياة . فالموت واحد!وأعرف أن صدوركم تتغلغل كبركان هادئ،إن الحقيقة في تلك الأقفاص والسجون المهيئة أمامكم،والحرباء بالمرصادتنتظر،أناالرذاذ!أناالشبح!أنا القناع!أنا الريح في الهشيم!أنا الرذاذ!أناالشبح!أنا القناع!أنا الريح التي ستغير قبح العالم!!

المسافة (10)

مرحزان الشعراء

تأخذين برأسي كل مساء ...
تجيدين هدهدة القلب،
عصف الحكايات،تتحملين غبارالمسافات،
ووحدتي المنداة بصوتك،
يؤنسني في ليالي التوجس
والغزو، والرحيل...
يزرع في الخلاء نخيلا وظلا
إليه أفيء...
وأغمض عيني،أحلم أن بصدري
طفل التوهج، أنكرته القبيلة...
ليست التي تستحق الولاء،
وليست التي تتقلد أوسمة الشعر...
وكم يرددون...
نعرف كم تقرض الشعر،
كم تتزاحم بالسيف عند الملمات...
كم تملك القلب،والعين، والإستبصار
لكننا،لا نريدك صوتا...
لانريدك إعلاء للعزة والنصرة.....!
لانريد كبرياءك...
هكذا طردتني القبيلة...
وضج بي الشعر،والشعراء أغاروا...
كما رمتني القبيلة بالإفك...
والآن تمنح أبهى القلائد للفائزين...
تطلب رأسي وسيفي...

وهأنذا ألوذ بك
جئت لا تنكريني...
ارتميت بصدرك
يا رحبة الصدر...
لذت بعينيك،شعري من وجنتيك يضيء...
جئت رث الثياب فقيرا...
أغني بشعري عن كل من هام مثلي
في الصحراء،
جئت لا تنكري الحضو،
لا تسلميني لسيف القبيلة ،
حسبي...أنك أحلى القلا ئد...
حين منحتك بالأمس
أعتي السيوف
تطأطىء بين يديك الرؤوس...
وتحرس بابك
حسبي،أقسم جسمي بين الجموع
الكثيرة...
أحتسي برودة مائي...
من أجل عينيك...أريق ماء وجهي،
تشفي جراحي من أجل عينيك...
وينطلق الشعر...
يصرخ بالليل، حتى يقض المضاجع...
يخترق أعتي الحصون...
وإني لا أخون...

لأني عاهدت عينيك ذات صباح...
متقلدا سيفي،ممتطيا فرسي...
هذا الذي يحس بنفسي، وأنفاسي...ويكابر،
هذا الذي ما فتئ يأمرني أن نسافر...
أنا الذي هاجرت...
وقامرت...
وغامرت...
وخسرت...
ورحلت...
يوما أغير على السهل...
يوما أغير على النجد...
سيفي... كل الليالي الكئيبة أسقطها تحت.
كل حكايات الفرسان..زيف
إلا حقيقتي
وقد شاهت وجوه القبيلة..والشعراء....
يريقون وجه القصائد بين د نان الشراب...
يأبون إلا ذل الرجال الكرام على الأرض،
منذ هاجرت...
سيفي أشرعه في الوجوه الصاغرة...
قافيتي أنفذها في القلوب
الحاسدة،الحاقدة،الناقمة...
لعل الحجارة تسقط،
أبني بها سياجا من الحب...
والغزل الرائق...

أفتح بابا من الدفء للأشقياء...
أعلمهم عذوبة الحب...
وما كان بيني وبينك...
"أيتها العدوية...البدوية
من دونك سلب النفوس،ونارحرب توقد..."
فلا تطيلي التساؤل عن سفري...
وغربتي في ليالي الشتاء...
فما زالت القبيلة تطلب رأسي...
والشعراء مازالوا يريقون ماء وجهي...
يكيدون لي...
وما عدت أبالى...
فلا أهل...
ولا كأس...
ولا نديم...
ولا سكن...
فقد طلقت الدنيا وجميع الفتن....

أكادير:/19 /3 /2007

المسافة (11)

الواجهة...

غدا سيحاضر عن نفسه المتعالية الفائضة على ما حولها،بالجموح والطموح،والتي نجمت من ظلمة الفقر ـ كخضراء الدمن ـ وأرادت بالشعر اقتحام الدنيا، ذاته الخفيفة من المال بالفقر،الخفيفة من الأهل باليتم،الحرة لأبعد الحدود.

غدا سيحاضر عن الأشياء التي لها ألف وجه ولا لون لها،وعن الربيع الذي تزهر فيه أتعاب الإنسان،وعن مصاصي الدماء،وعن الذين يمصون الألم كالحلوى،والذين يرقصون على الجمروالجراح كالطيور المذبوحة،وعن الطيبين الأقوياء الراكبين أحصنة القلق،براقا تجري تحته الأراضون،وعن الأرض الجرداء،كالقلوب الدائمة الإصفراربلاربيع،والمطرة التي تسم فتخصب الزمان،وعن الفرح المشنوق مرات وكيف يكابر؟؟وعن مغامرات المتنبي والسندباد البحري،وعن"أحمد بوكماخ" "والأمطار الأولى"،و"عنزة السيد سوغان"،وعن عام "غميضة"،و"البلى" و"الدوامة"،و"الألواح والصلصال" و"المحبرة" و"المداد" و"الريشة"،وكيف يصيرالإنسان في مهب الريح...!؟

تدور الدوامة،تدور سريعا،فيتسلل الآن إلى فراشه،مخفيا رأسه تحت الوسادة،ليواري أرقه المحموم، كما لو أنه سيظل صاحيا مرة أخرى حتى الصباح.

تتعمق المجاري في دواخله،إنه حي فقط،كما لو كان في بطن أمه،هو الذي لم يأخذ من الأيام الجميلة زادا لليأس الجليد،يتمنى دوما أن يغفو طويلا ولا يصحو،وأن يستيقظ أكثر مما ينام،وكأن المحال يريد!كانت الذات تتفتق بين الإعراج والإنعتاق،والنكسات والإنخدال والإنكساروالأحلام،والقبض على نار الحرف،كلما اكتسح الظلام مساءاته،ثم هو يرى صورا،وأشباحا،تتراقص جميعا مع بضعة أسطر،لكن حينما يريد أن يقبض عليها ـ

بين اليقضة والحلم - لا يجد غير قبض الريح،وكان أحيانا حين يستيقظ ليقضي حاجة،ويعود إلى فراشه الدافء، تكون الأسطر والصور قد راحت،فقد حاول القبض عليها بالكتابة،لذلك وضع يوما قلما وورقا تحت وسادته،لكن في النهاية لم يظفر إلا على رموز وخطوط متداخلة مائلة،لاتكاد تؤلف معنى يستوعبه،مثل حياته تماما.

تعشى ذات ليلة حتى التخمة،وكان همه أن يقف على صور طويلة لها معنى،لكنه لم يرشيئا،ومع ذلك فمازال قادرا على التفاؤل والمكابرة!؟كان كل همه البحث عن صور لم يقبض عليها قابض،فالكتابة عنده تصير اكتشاف حياة أفضل منقحة بالإبداع،الصراع كان لديه مع تركيب الكلمات،واصطناع الصور،هو يدرك أنه كيف يعيش ليس مثل كيف يحكي،كان ينسى عرقه الذي يتصبب من الصباح إلى المساء،يرى ملامح الوجوه والأحلام المؤجلة، يتفرسها،فلا يجد سوى موتى بلا قبور،وأنهم لم يحصدواغير قبض الريح،ويحسب أن إركام الأفكار والعلامات،وتتبع الخيالات والترهات واصطياد اللحظات الهاربة،سيفتح المغاليق،ويغير قبح العالم!؟

ومرة أخرى يصحومن جديد ليقبض على شيء،فلا يجد سوى الريح،لكنه مازال قادرا على التفاؤل والمكابرة!

يقف ويتجه نحو النافذة،تبدوالقطرات كحبات اللؤلؤ تجذب القلب إليها وتخلق إحساسا بالحياة في النفس من جديد، لاتسمع إلاهزات الأرض الخفيفة تحت ثقل قطرات المطر،لا أحد يعكر صفوهذا السكون سوى بعض صوروجوه،وأشباح وملامح من هذا الإجتماع الأخير،تنغرزأشواكا في قلبه،وهو واقف يتأمل المطر العجيب،انهب الإحساس بالحياة في دواخله،فرك عينيه، ثم عاد إلى الغرفة العائمة في العتمة،ثم إلى المطبخ،تستبد به الآن نشوة غامضة،وهو يعد قهوته السوداء،وبين

الغرفة والمطبخ،تحضروجوه وتختفي أخرى،فاتحا أبواب قلبه المنكسر،باحثا عن وجوه أدمن قرفها وخبثها،الصور تتلاحق اتباعا كشريط لا ينتهي،صاريستحضر في لحظة خاطفة شريطا من فتنة الوجوه والأمكنة،متلذذا بقضم أظافره،وكأنه يرعى قطيع يومياته الهاربة.

.... أخيرا رفعت نظارتها الشمسية إلى أعلى الرأس،ووضعت نظارتها الطبية،كانت كضبية برية تفيض بالحيوية والأنوثة أخذت تحملق فيه مليا،أوعلى الأقل،هذا ما شعربه،هوالذي كان يبدو كمتفرج على هذه الجعجعة، أو ربما لما رأته شاردا في وجهها،حينما كان يتساءل عن الفرق بين الباب والوجه!والوجه والباب؟وبدا أن كلاهما عنده سيان! وما الفرق!؟

الجلد سيترهل في بضع سنين،والزمان سيفعل فعله،مثل الحائط المتهدم هناك،كانت تتحدث كثيراحينما أخذت الكلمة،كما لوتريدأن يعلم الجميع بأنها مدمنة بحث حتى النخاع،لكن من عساه يبالي،وكأنها تخاطب مجرد أغبياء، يرون ولايفهمون،ثم أخيرا ظهررأس رجل لما فتح الباب قليلا،رمق الحاضرين بنصفه العلوي،لم يظهر غيرالرأس الأقرع،وقال للحاضرين:ــ الفطورجاهز،ولكن قبل ذلك هناك سيارة بالخارج،ركنها أحدكم،تسد على أحد المسؤولين الطريق،فهبت ناهضة نحوالباب،عابثة بنظاراتها الطبية والشمسية معا،والإجتماعات هي الإجتماعات،والجعجعة هي الجعجعةلا تنتهي،ومرة أخرى يستحضر ذاته بعد المحاضرات،فلا يجد لها معنى يذكر،فلا أحد يتابع دروسه بذاك الإهتمام،لامن سائل،ولا من مجيب،هويقوم بكل شيء،الملل والإجترارولاأحد،حتى صار يكره ذاته ومهنته،ويدرك أنه يملك قدرة هائلة على التأقلم مع الحياة،كل الصنائع في ذات اليد،ولا صنعة،صار يكره كل شيء،فإلى أين أيتها الخيول الجامحة...؟

لـم يـرد أن يكـون مـاء بـين أيـادي الآخـرين،لاطعم ولا لـون ولارائحـة لـه!مع ذلـك كـان يحـرص أن يغـرس أشـجار الصـبرفي كـل سـاحة،كما كـان مـداده مـن دم البشـر!أيوجـد هنـا بشر؟وإنه يتساءل أو يهدي،لم يعد يدري...

جمـع أولاده/مريديـه، ذات مسـاء، ثـم قال:ـ أوصـيكم لا تبكـوا بعـدي علـي،فلا مكـان للمشـاعر!**صـاروا** يبكـون،ثم يصرخون،فيضـحكون غيـر مكثرتين،يـرون فيـه مجنونـا شـبه عار،ينهـال بالشـتائم علـى أعـداء وهميـين!لم يعـد يعجبـه شيء،صـاررهن وجيـب قلبـه،فيرى ذاتـه أمـام المؤسسـات والمحـاكم والجمعيـات والمقـاهي والشـوارع،أستاذ..سـتاذ... أستاذ...حاضـرفي كـل مكـان،فلا يلتفت،غيرعـابئ،ثم يهـرول نحـو المجهـول،لم يعـد يحـب أن ينـادي عليـه أحـد بذلك،صـار يرى الأمور بشكل مختلف ؟

ثـم يـردد:قنطرة...نـاري...أسـتاذ... ملـف.. عبـور، مجـاري... أجيـال... قنطـرة... ثـم يعيـدها بشـكل ممطـوط مـرة أخـرى، فيبتسـم،يقف،يقهقه،ثم يهـرول...شـبه عـار ينهـال بالشـتائم علـى أعـداء وهميـين تفـوا!تفـوا!تفـوا!الله ينعـل أيامكم!تفوا...تفوا..بخ..بخ بخ ...

صـاريحل فـي كـل مكان،منـذ ذاك المسـاء،يعرفه الـداني والقاصـي،المحطة مكانـه المفضـل،لايزيغ عـن ذلـك المكـان قـرب المقهى،وكـان أولاده\مريديـه يشـملونه بعطفهم،فيشـدوا الرحـال للمحطـة كـل مـا سـنحت الفرصـة،يحملون إليـه الطعـام،أو يحتسـون بـه قهوتهم،ويسـتفيدون مـن دروسـه، وبركتـه،يبكون،ثم يضـحكون غيرمكثـرتين...،ثم يخـرج عـن هدوئه، فينهال بالشتائم على أعداء وهميين:ـ تفو!تفو!تفو...

زميلـه "الدميـة"أوكمـا كـان طلابـه ينعتونـه،كان قـد داس، وانتهز،وتسلق،وقامر،صـار الوجـه براقـا،والرأس داهمـه الصـلع وبضـع شـيبات،والبطن انـتفخ،لكن الأسـتاذ "الدميـة" يصـرعلى أن يتبـرك بزميله،يقصـده مـرات عديدة،يناديـه مـن

إحـدى مقـاهي المحطـة،أسـتاذ،أسـتاذ،في إصـرار لايلين،ثم يأتيه مهرولا،حزينا–عفوا من قال بأني أستاذ ؟!

ـ اسحب كلامك!ثم يسحبه و ينسحب،

لكـن الوجـوه هناك،كأنهـا واحـدة مشـتركة،زرقاء حزينـة، مغبونـة عابسـة،لايعجبها أي شـيء علـى الدوام،سـاخطة ناقمـة غيرراضـية،وكان يخبـرهم بعـدتخمين بأنهـا ولربمـا العـادة،أو قلـق التربيـة،أو كونهـا مجـرد أرقـام متنقلـة،أو قاعـدة الإنتحار البطيء،هكـذايقول العلامة/لمريديـه،ثم ينهال بالشتائم/ تفوا ! تفوا! تفوا!...بخ..بخ..بررررر

"الدميـة " كـان مـدمن قمار،كـان فـي أواخـر عقـده الخـامس،أتسـاءل مـرة أخـرى كيـف اسـتطاع أن يـتخلص فعـلا مـن سـنوات الكآبـة التـي تزحـف إليـه بـبطء شـديد؟ وإنـه لأمـر مرعـب أن يقتـرب الإنسـان مـن عتبـة زمـن آخـر،دون أن يحـس بمـا مضـى،أو أن يسـتمر بعبثـه ذاك! يجلـس وسـط مقهى"البريـد" مقهـاه المفضـل،قبالة السـاحة المشـرفة علـى مفتـرق الطرق،وبصـره دومـا زائغـا بـين أرقـام السـيارات والشـاحنات...يحتـل طاولـة فـي مركـز المقهى،يشـتت ويبعثـرأرقـام القمـار"التيرسـي" فـي مبالغـة واضـحة،يملك نظـارات عديدة،واحـدةلأبعاد النظـر، وواحـدة لتقريبه،منشـغلا بتقـديم أرقـام وتـأخيرأخـرى، يجلس مقطبا حاجبيه،متى يأتي؟فهل يأتي...؟

علمتـه السـنون،وكثرة الإجتماعـات والهـدر، والجعجعات،فصـاحة البلغاء،وحصـافة الشـطار،حتى صـار كائنـا حربائيـا بامتياز،ملونـا بكـل ألـوان الفصـول، رئيسـا لأكثـرمن جمعيـة،يتمطى بـبطء كعنكبـوت عجـوز لـم ترهقـه السنون،باسـطا شـباكه للإيقـاع بفريسـته،لايعدم جوابـا عـن أي سـؤال،تارة بـالهزل،وطورابركوب المحال،وأخرى لابسا جلال الحكماء.

ولمـا صـاررئيس قسـم،تحول مجالـه إلـى أرقـام أخـرى، مـن قبيـل تـواريخ مـيلاد المـوظفين،وأرقـام تـأجيرهم،

وسنوات تعيينهم،لكن الحظ لم يحالفه، كما حالفه مرة، وأضاع كل ربحه من حرام في لمح البصر.
هاهو يخطط مرة أخرى،يفكر،والأرقام هي الأرقام، تزوغ،تزوبع،منشغلا بتقديم أرقام،وتأخير أخرى، يجلس مقطبا حاجبيه،متى يأتي الرقم؟ فهل يأتي... !!؟
أخيراعزم حالفا بأغلظ الأيمان لندمائه،أنه إذازاغ الرقم،ولم يزوبع هذه المرة،أولم يحالفه الحظ العاثر،فإنه سيعود إلى أرقام المأجورين المكدسة في مكتبه،والمطابقة لاختياراته ليؤزم من وضعيتهم عن طريق حيلة من حيله الخبيثة فيكون الخصم والإقتطاع، وهو يؤمن جازما بأن الحظ هو الحظ،،والعتب على الأرقام!كما كان لاينسى أبدا أن يسلي نفسه قدرالإمكان،فالعنكبوت هوالعنكبوت،والفريسة قد تتعدد،مثل كل الأرقام ولاتنتهي...ومن سيحرك ساكنا؟
فجأة هب واقفا،أزاح الدكة،بعدما تخشب جسده،وراح يختلس النظرخلف النافذة،ويقول مع نفسه:ـ إلى أين أيتها الخيول الجامحة تركضين..؟؟ ويقول:- الآن فهمت! لم،وكيف تغوص الأرقام عابثه أن تنسى ضنكها،رذائلها،سابحة في مستنقع موبوء،ومن خيبتها عبثا تحاول التزحزح،وهوواقف يتأمل المطر العجيب،فرك عينيه...!
غدالن يحاضرعن الأشياء التي لها ألف وجه ولا لون لها،وعن الربيع الذي تزهر فيه أتعاب الإنسان،وعن مصاصي الدماء،وعن الذين يمصون الألم كالحلوى،والذين يرقصون على جمر الجراح كالطيور المذبوحة،وعن الطيبين الأقوياء الراكبين أحصنة القلق،براقا تجري تحته الأراضون،وعن ليلات العرق المجنون،وكيف يصير الوجه المهزوم خريطة حزن؟وعن الأرض الجرداءكالقلوب الدائمة

الإصـــفراربلا ربيـــع،والمطرة التـــي تســـم فتخصـــب الزمان، وعن الفرح المشنوق مرات، وكيف يكابر؟؟!

وبعـد مرورســنوات وجـد نفســه أمـــام رجـــال ببـــذلتهم البيضــاء يبتسمـــــون له،وهومستلــق علــى ســريره فــي مكــان ما ينظرإليهم كالأبله،تقدم أحدهم وقال:ـ لقد أخذت تتحسن!

المسافة (12)

شـــــوم

الخطوات تتلوها الخطوات،وهو يمشي ثمة مكان سوف يصل إليه،وبعده،ثمة مكان آخر،لم يحس بخطاه أبدا،لا يلتفت،كل الأشياء من حوله تبدو غائمة،الشمس محرقة،والسراب يكتسح الطريق الوعر الجاف،منذ ساعات وهو يسير،شرد بذهنه إلى بعيد،إلى الماضي، تجسد أمامه في هذه اللحظات،فراح يستعرض صوره... كمن يحاول عبثا أن يقصر المسافة،فلا الطريق قصرت،ولا الذكريات انتهت،كل هو،ولم يتعب الشرود،ووهم الوصول مرفق بألف احتمال،فلقاء أمه قد يكون الأخير،في محنة التيه تذكرجدته "يزة" تلك الجدة العظيمة،امرأة بصبرمائة رجل،سيدة المهمات الصعبة ، تجمع التبرعات للفرح كما للحزن ، تواسي في ساعات الضيق ، فالأحباب والجيران بلا عدد،وكل المنازل منزل واحد،والجيران يصيرون أسرة واحدة،آه !ما أحلى تلك الأويقات وما أسرع ركضها !آه ! وكيف ؟ كيف تصير الأيام موحشة،قامية،غريبة،وقاتلة ،لكن الصبر ليس له حدود...والصمود رغم المرض،المبسم دوما سراج وضاء،حتى في ساعات الإحتضار،كما لو أنها الثلج،أو قطعة قمر،أجمل من نوروجه ذلك الصباح، الذي اندفع فيه الجيران مصدومين ومشدوهين،من هول الفاجعة،وكأنهم لم يصدقوا،جلست النساء نائحات،يلطمن خدودهن،كماتحلق حولها الأطفال في رعب،والصراخ ينبعث من كل الزوايا،وأنين الأطفال يملأ الدروب،كل الأيتام ينادون "مي يزة" ،"مي يزة".

آه!كم هو فظيع ألم فراق "مي يزة"، من يشبهها اليوم؟حتما لا أحد ؟!! لا أحد بإمكانه أن يعيد تلك الإشراقات الجميلة،فقلما يجودالزمان بمثلها!والحنان يموت للأبد،آه !ما أقسى هذه الأيام !ورمال القصورالتي تبنى هي رمال القصور،وككل مرة تتهدم كلما نظر إلى قدميه،السراب هو السراب،هكذايرى ظله يغيب بمغيب

الشمس، وإنه ليراها متعبة،تتمطى حلكة الليل كي تستريح؛الصمت مطبق على التلال المجاورة،لاشيء يسمع غير نباح كلب شرس يرتفع من القرية الهادئة ..

ليرى كلبا أصفر اللون مشبعا ببياض،ذلك اللون الذي عشقه لحياته،وتمناه في غمرة الفقد حيث الحلكة الدائمة،فقد الأحبة وأولئك الأصدقاءالذين طعنوا في الظهر،خانوا،جفوا ومضوا،حينما نبا به الدهر،وعم الحزن سنوات عديدة...

الكلب جاثم لا يتحرك ، يراقب سيده بعينين وديعتين كالتمثال،تذكركلبه الصغير"روزو" ،والذي صدمته سيارة،هو الحنين والوفاء، الذي جعله يؤمن بأن كل ما أحبه فقده كلمح بالبصر،ومن الجدير" أن لا أحب أحدامن الآن حتى لا أتألم" هكذاحدث نفسه.

سنوات سيئة،حينما يعيش على ألم الفقد،وكعادته يظل يمشي تائها،يستبد به الشرود من كفن إلى كفن،يعصره الصمت سحابات،وقلما باسمات،تسقى أديم الرحيل،يتجرعه العويل مسافات بين النعيم والجحيم ، بين اليقظة والحلم ، والخطوات تصير أميالا فهل انتهت خطواته!؟

تعب من كثرة المشي ،المسافة طويلة،وحقيبة الأغراض التي يحملها على كتفه ثقيلة،والطريق ماتزال طويلة،تحسس الصخرة الملساء بالقرب من الشجرة الوارفة الظل فجلس،بالقرب منه قافلة من النمل راح يتابعها،ثم نظر بعيدا تأكد أن هذه الأرض في دمه،وأن الوفاء في قلبه.

هوالذي قد ترحل أمه هذا اليوم، يأخذه التلف،والشتات،والتيه إلى حيث لا يدري،يسند ظهر ه إلى الشجرة ليستريح،ويمدد جسده على الأرض العراء،كمن لا ينوي الوصول . . .

آسفي 97/12/27

المسافة (13)

انبـجـاس الـصمـت

-1-

أنـا لا أحـب أحـدا،فأحبابي مـاتوا مـن زمن،بعـتهم فـي المزاد وبالعلن،بعتهم بلا ثمن،وبلا كفن.

-2-

أنـا ملعـون مثلكم،لأننـا نعـرف ملامـس الأفعى،فإنهـا وإن لانـت،فهي تتقلـب مثـل الأحباب،والأصـحاب، والحبـال،والزمان،كأي شـيء فيـه حركة،وفيـه "دغـل" مثـل الحارة،والسـيجارة،وكربطة عنق،كأسـوارمدينة قديمـة، كموسـيقى صـاخبة،كالوردةالذابلة،ومثل المال،كجنـاح ذبابـة تعبث بها نملة،ككل شيء يورث الإحساس بالملل.

-3-

سـلام عليـك ألـف سـلام،يا سـيد الحـلال والحرام،يأيهـا المـال، أنـت الـذي تفـتح الطريـق فـي البحر،بريقـك يـذيب كـل المبـادئ والقيم،ويمحـي كـل كلام،معـك وحـدك يصـبح كـل شيءمسـتباح،كم حولـت مـن الأعـداء إلـى أحبـة،وكم جعلـت مـن الحقارة،شـرفا براقا،لتـداعب أحلامنـا المنسـية،إني أسـخر منك، ومنهم،ولاأخجل!

-4-

لاغيمـة فـي هـذه السـماء،زرقة كحليـب البحر،وفضـاء يفغرفاه،يتمـدد فـي الفضـاء،لا ريـح الآن تبعثـرأوراق الـروح، سكون كفناء البحرمساء.

-5-

أظهر،تختفي،أتسـامى،تراوغ،وأموت مسـالما فـي جنـون،لي أنخـابي معتقة،مضـخما بقلـق بال،فمـا أضـيعني!يـأكلني الإغتـراب حتـى أقسـى التيـه،يؤلمني الإجترار،فأجرأقـدامي نحو الهاوية!

قريبـان نحن،بعيـدان،حبيبان نحن،غريبان،مـا ل يجمعنـا،فقر يفرقنا،مصلحة تلمنا،غروريشتتنا،فنضيع.

فتعـــالى لنفـــرغ عزلتنـــا،ثم نقفـــز فـــي رحيـــل الوقـت،ومروق المسـافات،ففي الغمـوض سـتتمرد سـحنا ت وجوهناعلى هيأ ة سراب.
ثم هاأنذا أترك ظلي يسبقني،يرسم لي الطريق،فأتبعه.

- 6 -

الكاتـب (ش)والـذي سيصـطنع عالمـا جميلاخنثى،والكاتبـة (و)رسـمت تيها،داسـت علـى الشـرف،ونطت السـور الأحمرفـي غمـرة هـذا الحاضرالسـكران،وفي رمشـة عـين صـارت فـي القمـة،وحين استضـافتها المذيعـة (م) أجهشـت بالحاجـة للوصـول،ثم ران علـى المكـان صـمت رهيـب،في حين ظلت ترنو إلى المشاهدين بتفرس،لم يكن ثمة أ حد.
الكاتـــــــب(ش)طعن فـــــــي الظهر،وتنكـــــــر للأصـدقاءوالأحباب،حذاؤه الأسـود اللامـع يتعقـب عـورة البلهاء،والكاتبـة (و) تنظـر بعـين شـزرا مـن فـوق الجبل،قيـل لي:ـــ هبهـا مـن قلبـك إكسيرا،واعصـر للفـا تنـة شـهد الحياة،لكن،كأنني لم أكن صدرها يوماأو معصمها.

- 7 -

أنـا ملعون،وملعونـة الأيـام التـي جمعتنـا، ملعونـة كـل الحقائق،وكـل الآمال،وكـل ماض،وكـل آت،لا شـيء غيـر الـوهم،فلا ثقـة بيننـا،إني أحـذرك مني،ومنـك ،ومـن كـل شـيء، أعـرف بأنـك منافق،ومخـادع،ومع ذلـك أتعامـل معـك،لأنني لـيس لـي عنـك مهرب،فأنـت كالهواء،كالنار،كالماء،كـالتراب. أركلك،أشربك،أتنفسـك،ولكن،أحترق حـين أتعامـل معـك! وياله من تعامل،مستحيل،وملعون هذا التعامل مع البشر!؟

- 8 -

لعبت،وتعبت،فيمـــا قسـم لـــي الحـــظ مـــن ورق،احتفظـت، ورميـت حتـى لـم تعـد هنـاك طريـق،وفي النهاية:ورقـة يتيمـة مطوية،كشـجرة تـين عقيمة،أعـدمت بهـا ألف كلمة!

- 9 -

كل شيء في نقص مستمر،كما نرتشف آخر قطرات القهوة السوداء،كل شيء مصبوغ بلون قاتم،ففي الظلام يستوي حتى موتنا واقفين!

-10 -

لن تسرق اللوحات،والمشاهد بصرك، فبصرك حديد،لن تفهم،ولا يجب أن تفهم،نم!نم يا حبيبي فالنوم عسل، وكيف؟!

وأنت الذي تساوت لديك المزابل،والمقابر، الخبز،والشهية،أنت سيد العالم،لاتهتم!فهذا معتوه يغازل ظله،قل:- إنه مجنون!

كان حديثي،كان رمادا،أنثره،وتطيره الريح،لم أك منذ زمان،غير رماد تذروه الرياح،وأنت على جرف من رمل، تتربع الأمواج أمامك،تصدروالريح،تعربد،تلك هي المسألة! فلندمن كأس الصبربينا!

-11 -

ليست هناك سوى الأبواب و الوجوه والعيون،وليس لنا قلب واحد،بل قلوب شتى،متفرقة كأوجه كل الناس، وكأيام الأسبوع،أو عرس،أو ميلاد جديد!

ولأنني أحبك سرا وجهرا،فمن الجنان أهديك كل الورد، بل أصيرأنا الزهر،وأنت المزهرية،أعرف بأني سأزينك، لكنني في النهاية:لامحالة إلى القمامة!

- 12 -

لم يقل للزهورالتي احتشدت،في الطريق وداعا،لم يقل للصباح الذي يعبرالأرض،يا صاحبي سأكون دائما هنا،لم يقل للشوارع هذي خطاي تؤوب كعادتها،لم يقل للأطفال هنا كنت ألعب وأكبر،احتفظوا بالملاعب والرمل،حتى أعود،لم يقل للمدينة،هذا دمي خارج من يديك،وفي غفلة منك،يعبر أحزانه،والحدود!لم يقل أي شيء!لم يأخذ الشمس والدالية،لم يأخذ الجرح،ولم يأخذ الفرح!لم يبتكر كلمة في الوداع،ولم يذرف النجمة الغالية،لم يحمل العشب

فـي يـده،لم يحمـل الأغنيـات ولاالصـور!لـم يقـل أي شـيء، وهـو الـذي كـان يغارلكلماته،غيرتـه لعرضـه،وحياته ــ لكننـي حين عانقته ـ في يدي انكسر...!

-13-

هـذا أنـا وهـذه متاعبي،كـما اليوم،كمـا الأمس،وأنـت كمـا أنت،كـل شـئ جـاثم مثـل وحـش كاسـرحط علـى السـفح يترقـب نهايتـه،فيعود للقمة،ليسـتريح هنـاك!كلانـا شـئ مـن الإحتمال،قـد ننـزاح فـي هـدوء نحـو الهـاوية بنفـس الهـدوء،ورغم اللـون الأصـفر والتجاعيـد،ورغم الشـيب الـذي يكتنفنـا،ورغم التشـويش الـذهني وبلادتـه،ثم هـا أنـت تنبـري جانبـا،تخلط عليـك المشـاعر الملبـذة بالغيوم،والأيـام تبـدأ مـرة أخـرى تبـدأ مـن جديـد،ولا جديد،سـلبوك البسـمة،منحوك قناعـا آخر،يهـزأ منـك إذا القلـب بكى،تغرقـك الأقراح في الضحك،والحزن يتعمق في أحشائك.

- 14 -

ومهمـا يمـر مـن ظلام،فـالأرض تتسـع لكـل السـعادة،فبربك!من بـدلك؟من شـتت أملـك؟من قتلك؟ألامـا أكفـرك!ولـن أهملك،ليتسـنى للزمـان أن يعلمك!ألامـا أعجلـك! ومـع كـل القتامـة إنـك سـعيد ومتفـا ئل،ولأنـك كالسـكر والأفيون،وكالكحـل للعيون،ممتد،ممتد،مسـافـات،فلنقطع الصلات،ماذاعساني أن أفعل!؟إني أحبك!

سيدي بنور:94/2/27

المسافة (14)

قـلــب الـريــح

(1) حلم :

ويظل وجه الأرض مشرئبا إلى السماء ...
يظل الإنتظار ...
يحن إلى أجنحة الريح والعاصفة ..
يحن إلى انكسار الصمت ..
حين تعرف الخطى كيف تجيء دروبا في الأرض ، أو أجنحة السماء ...
قلبي يطير- لا تفكروا كيف؟ -عاشق يحلم !

(2) غيوم :

بين الأرض والسماء كان انتظارك ...
الذي يجيء بمواسم القطاف ؛
يودع الحزن المقيم ، يحمل جذور المأساة...
من الأعماق، ويسافر.....
تفرش العيون أهدابها لك ...
هذي غيوم الغيث يا سنين الجذاب!
هذي غيوم الغيث بأزمنتنا المصفرة ...
فلتهطل أمطار الرحمة ...!
تواعد الجداول ، تواعد الحقول ...

(3) الريح:

إنها الريح، قال الصمت،
لكن الصمت يطول .....
وانتظار الطارق المؤمل، يطول ...
تاه مع الطريق.....
الطريق الذي طويت فيه الزمن ،
ستطرقه الأقدام !

والريح التي حلمت بها ...
ستجيء دائما ...!
تخصب الحياة رغم كل شيء ،
لا أحد سيلغي...
فرح الأشجار ...!
ويطول الإنتظار،لكأنما ...
" البـاب مـا قـرعتـه غيـر الريح ..
آه !لعـل روحـا فـي الريــاح "(1)

(4) سكـون:

أبررعند انقضاء النهار ،
بعقل المنطقي ، والإنساني فعلي ،
أفلسف عجزي ،
وفي الغد أسلك عين المسار .

(5) انـتـظـار :

أنا في انتظار الذي لا يأ تي...
أفكر في اللحظة القادمة ..
وأمضي مع النظرة الحالمة ،
أبدد في كل يوم جديد ...
شبابي، وروحي، وفكري السديد ...
وأجهل ما أريد ...!

(6)غـمـوض:

الحقيقة ... مخبأة ،
خلف هدوء ملامح غجرية ،
وصمت عينين زرقاوين ،
وضحكة فاتنة رقيقة ...

(7)ضيـاع :

لم يبق من شوارع الليل ،
مكان لم أتجول فيه ...
العينان الزرقاوتان ...
أخذتا كل مساحة الليل !

(8)ملامح :

تلك الملامح ...
حين تمر بصمت ...
تكسر جدار الصوت !
فتعانق الريح ،
وتهدهد القلب الجريح ...

(9) مـغـامـر :

أحب ولوج المجاهل ،
أفنى في خضم البحار ، والسواحل ،
لدى كل سجارة ، لأصعد لتلك القمم ،
لا أخاف التردي ...
لا أخاف التحدي ...
ولا الجسارة ...،
لكن يستهلك الطريق مستقبلي .

(10) صمــت :

أنا ما عدت أنبس ببنت شفة...
وما عدت قادراعلىأن أحاور
فإن الذي في خيالي كثير وكثير...
يدجن عنف السؤال المداور ،

ولكنه . . .
كيف يصمد قصر الرمال،
إذا ما علته المياه ؟!

(11) مساحة :

قلبي مساحة بحجم الكون ...
كل المسافات تؤمه ، لأنه ،
مفترق للطرق ...
ورغم ما يعج في عيون المارين ،
الرامقين من وهــج ،
يقابلهم دوما ...
بأعصاب من ثلــج !

(12) الطائر:

كان يأتي...ومن أين؟
لكنه كان يأتي...!
ينقر الخشب المتشقق...
أدعوه: ـ كن أيها الطائر صدري، وصوتي،
واذهب إلى آخر السنوات، حصاد الأماكن، والناس،
وارجع؛ لكي تخبر دمي أن هذي الخطى،
لم تكن بدأ موتي...!ـ
كان يأتي... ومن أين؟
لست أدري...لكنه كان يأتي...
ومرة فاجأوه على غصن قلبي،
وكان صغيرا ...صغيرا. صغير.
وإذ أمسكوه بجناحيه، صحت:ـ دعوني أطير!
فقد كان طيبا في صدره الحب،والفرح البكر،

مثل إطلالة الشمس،
لا يتقي السهم مبتعدا... لا يخون،
مثل طائر غادر الليل والطرقات على عجل،
بعد أن طالع الأرض بــأمنيات كسرت كل الجنون،
حينما أبصر كل مالا يراه المدى، والعيون...
وكانت له أرضه، وتلال الصهيل، وعيونه
ما تشتهي أن تكون،
فهو أمضى السيوف،وأوفى الأصدقاء،
وأعلى الحصون.
أجل!كان يأتي... ومن أين؟
لكنه كان يأتي...!

(13) ســؤال؟ :

سألت الدرب والقلب ،
متى أهدأ ؟
فأجابني :
" عندما ينتهي مشوارك الذي لم يبدأ !"

الهامش

---

(1) سطران شعريان للشاعر العراقي الكبير بدر شاكر السياب

الشاون _ المرية 99-2000

المسافة (15)

حين لا تعكس
المرآة شيئا..

بئر المرآة
قضت حياتها
أمام مرآة كبيرة
تحملق فيها و تستمتع
حتى غرق حسن محياها
في بئر المرآة...

انطون بوتجيج

كمـا يحيـا الغصـن مقطوعـا عـن الجـذور !؟تمـر بـه لحظـات عصـيبة يتصـور فيهـا مـا يتصـور،يغفو فـي الظـل، ويطـوف على أجنحة الأحلام، يرى ما لا يبصره غيره،
ويواصـل نهـاره بليله،يبصـر خيـوط أشـعة شـمس الصـباح تنتشـر فـي بيتـه عبـر زجـاج النافـذة،ولكن الصـباح لا ينـبؤ بمـيلاد شـيء جديد،قصـد المغسلـة،صب المـاءعلىأطرافه ورأسه،شبـح الأحـلام المزعجـة تسـكنه باسـتمرارولا تتوقـف؛ إلا حـين تنهـال عليـه الأسئلـة مـن دواخلـه ناهـدأ فلعلـك تصـفو كـي تجـد مـن يفسـرها لـك،و تعـرف علـى الأقـل مـن أيـن تجـيء، أخانتـك بصـيرتك الفـذة و اشـتط بـك الوهم ؟ !فالأحلام هي الأحلام.
أنـت لـم تجـرب أن تقطـع كـالوردة؟أوأن تسـقط كالطـائر، لكـن كثـرة التوقـف و الأسـئلة تزعجـه أيضـا،لما تـراوده و هـو فـي اليقظـة،حيث دواخلـه تصـير محمومـة حتـى الهذيان..لقـد مضـت الليلـة مرهقـة ،مقرفـة و حزينـة.. و هـا هـو يحـاول أن لا يبقـى فـي الحلـم سـجينا، لكـن الأرض الطيبـة لا تـزال تـدور ومعهـا رأسـه،والدوار مـرة أخرى،حيـث حلمـه بالأشـجاروقد كسيت جميعها بزهور سوداء اللون !
الأسـود هـو الأسـود،إنه مفتـرس،ألم علـى ذاتـه،وانكمش كقنفـذ،و هـو يـغرق فـي الأشـياء التـي تتناسـل مـن مخيلته،قريتـه تناديه،الطير،العصافير،الغدران،الأطفال،العشـب،العنب ولـون الأشجار...
فهـل يـأتي وقـت لتعـود بـه الأشـياء للأشـياء؟مثل الزهـرة للغصـن؟و المـاء للنهـر؟ و الـدنيا تـدور فـي رأسه،تحسـس المنشـفة المنزويـة جانبا،تلمسـها وهـو يفـرك عينيـه بالصابون،تـأمـل بعـدها المرآة،لكنهـا لـم تعكـس شـيئا،أو لـم ترد أن تعكس أي شيءعلى الإطلاق بعد الآن...
وسـرعان مـا بـدا لـه وجـه غيـر الـذي يعرف،هـذا لـيس وجهـي؟ ! كـاد عقلـه يزيغ،يـطير،كادأن يتشـتت مثـل

صـــورته... صـــورة وجهـــه التـــي يحملهـــا ويعتقـــد فيها،صـاح،كرر الصـياح،لكن لـم يسـمع صـدى لصـوته، عـاد لوجهـه تحسسـه بكفـي يديـه،أحس حجمـه نظـر لكفيـه وجـدهما مملـوءتين بالـدم،دم يميـل للسـواد، مـثل الـورود التـي رآهـا فـي الحلـم؛ تحسـس وجهـه مـرات و مرات،حتـى تضـاءل أو لـم يعـد موجـودا،الجسد بـلا رأس، لـيس شـيئا ولكـن حـين لا تعكـس المـرآة شـيئا ؟ ! كـرر الصـياح،لم يـؤمن بأنـه لا شـيء ، تساءل:ـ أتسـتحيل المغسـلة مقصـلة؟ و جـ.....هـ.....؟؟ هـو الذي يصر على أنه شئ.

هـوى علـى الأريكـة كالجـذع المنخـور،أحس بخـدر يتوغـل حتـى العـظم،ما جـدوى أن أحـرق أعـصابي؟شعر بأنـه لـم يصـــرخ .....:و تساءل:ـــ لـــم لـــم أفعل؟أأكـــون قـــد قاومت؟وقـاتلـــت؟ وصلـــت وجلت؟وهأنـــذا جســـد مشلـــول،أواه!روحـــي يبســـت فلاأشـرب،وأنام،فمـــا عـــدت قـادراعلى شـيء،حتى الحلـم صـار قاسـيا!ومـع ذلـك عـاد لينـدس نفســه فـي الفراش،وهــولا ينتظـرأي صباح،أيصـبح على خير؟ !

الـرأس الآخـر بجـواره لا يـزال مسـتغرقا فـي الـنوم العـذب فـوق الوسادة؛الـوجه مستسلـم مهـزوم فـي الضـوء الباهـت المنسـاب مـن الصـالة إلـى الداخل،المصـباح الصـغير مـضاء منـذ أن سـاد السـكون ليلـة أمـس، كمـا يسـود دومـا، ،أيامـا عديدة،أسابيع،ســنوات حزينــة، فالبيــت بــلا أولاد،و الزوجــة صـماء. وهـا هوالصـباح مـرة أخـرى، يمـلأ الخـارج، وشـرائط مـــن نـــوره تمـــلأ الغرفـــة. بـــدأت تنســـاب مـــن الشـــارع ضـوضـــاء خافتة،تـــنهد بعمـــق علـــى شفـــتيه مـــرت ابتسـامـــة صغـيرة بلهـاء،رآها تتقلب،تـنهض،تسـتـند إلـى نافـــذة الشـرفـة،انـدفعت،أطـلـت،نـــظرت صـــوب الحديقـة،فتحـــت بـــاب الشـرفـــة عـــن آخره،الهـــواء عبـــق،قميص النـــوم شـــبه عار،حســـناء كعادتها،أمـــاء لها،لمـــاذا لا تمشـــطين شعرك؟تـــثاءبت،واستدارت

لتعود،جلست إلى المرآة تمشط شعرها ببطء،والمرآة تعكس كل الأشياء التي تقف أمامها، أما هو فقد عاد من جديد إلى زيغه، قبل الزواج تهيأ لها بأن هذا الإختيارعربدة جنون،وبأنه وقح، معتوه...حنون،عطوف،وأبله...غرقت في أفكارها و هي تمشط من أعلى إلى أسفل،

نهض من جديد،قصد المطبخ ثم عاد،وكأنه،ما زال قادرا على المكابرة،وهو يمد لها

كأس ليمون بيد ،و بيده الأخرى جرع جرعة فأحسها تنسل إلى قلبه ،غامضة كالسر و دافئة كعناق امرأته الحسناءعانقها يحاول أن يكشف لها عن...، يقدم رجلا، ويؤخر أخرى نحو المرآة.

تزنيت 99/06/23

المسافة(16)

يوميات،بلا
حاضر....

... في العام السابع:
تمنى أن يكون بحارا أو ربان سفينة،ليمخر بها عباب البحار و المحيطات،و يجوب كل أقطار المعمور،كما تمنى أن يكون الأبيض لون هذه الدنيا،وأن يعم الوئام و الحب حياة البشر...

... في العام العاشر:
سحب الماء طفولته،صار العلم ديدنه،ليفوز بالمال و الخرد الفضل،وكان الجسد سفينه،و العالم غدا في عينيه غابة مجهولة سوداء،ولابد من معرفة أسراره،و فك رموزه،وأن عليه أن يفتح عينيه في كل شاردة وواردة،فهل يفوز؟ !

... في العام الخامس عشر:
صار مركز العالم،يريد أن يكون نجما متلألئا في سمائه،لا السماء تثير فضوله،و لا البحار تروي ظمأه...

...في العام الواحد و العشرين:
كثرت مغامراته،غزا البحر،تتبع الغروب،تطاولت لياليه،جفاه نومه،عبث بالكلمات،لكن سرعان ما أصبح كائنا متعدد الرؤى، و الإغتراب ديدنه...

... في العام الرابع و العشرين:
انزوى و انطوى على ذاته،لحقه التهميش،و دب إليه الضجر،و القلب كاد أن يتحجر،هو الذي تنقل بين الحفر،الآن أخذ يميز بين الوجوه والوجوه،ويقرأ الأعين والبصائر بالهمس،و بلا طراز ولاحس،تكفيه المعاينة فقط،ويصر على أن تكون الصنائع كلها في اليد،فقلة الشيء تعلم كل شيء والمهم أن تكون العصافير كلها في اليد،هو المنزوي هناك بقادوراته كقنفذ، أوعنكبوت ينتظر فرائسه...

... في العام السابع و العشرين:
مجرد كائن شقي،أتعبته المعاني،ثار حذاؤه،فتح فمه ضدا على قدامته،احتج على الظلم،و القهر والاستبداد و قبح

العالم،ناضل،اعتصم،هتف بالشعارات...فكان له في القلب، أضعاف اللوعة والحسرة...

... وفي الثلاثين:

حلم بوظيفة تحفظ شيئا من الكرامة،و بماء الوجه،وبزوجة تضمد جراحه،و بأطفال يذكرونه براءة المعنى...

...وفي العام الخامس و الثلاثين:

تبددت الأحلام،و لم يرتفع الواقع،لكن هو ارتفع إلى السماء،ليسقط كصخرة حطها السيل من عل،كل ما فخر به، صار مجرد تخاريف، وخرافة زائفة...

...وفي الرابع و الأربعين:

داهمه المرض،والصلع،باع أثاث البيت،و كل ما احتفظ به في الماضي، و كل ما ورث...

و في العام السادس و الأربعين:

أظلمت الدنيا في عينه،و زاد المرض،فباع منزل والديه وهم أحياء...

...وفي العام الواحد و الخمسين:

حاصره الجوع،أقلقه الداء،رماه الدهر،و لم يعد هناك ما يعيش من أجله...، ولم يتبق له سوى دكان، ليشتري شيئا من ضوء نهاره...

... وفي العام الخامس و الستين:

حاصره المرض طويلا،فتجنى على نفسه،ليركن في المستشفى،أرهقه الداء،وعز الدواء،مزقه الألم،نبض دمه،تجمل و كابر،باع كل شيء، و لم يبع ضميره...

... وفي العام الواحد و السبعين:

أجل !صار بحارا غائصا في معاني الكائنات،والذوات والحياة،جائلا في معاني المعاني،والأسرارفي حياة تنكرت للمبادئ،فقد خانه الأصدقاء بعدما طعنوه في الظهر،ومرة أخرى قنطرة لكل من عبر،فالقناعات صارت بألف لون،والمظهرتعدد عن المخبر أكثرفأكثر. ... وفي العام الرابع و السبعين:

أراد أن يكــون جمــيلا !ابتســم،تلألأ بالبشــر،لكن العــالم زاد قبحا،فـــالأخ يقتـــل أخاه،وتكـــدر العـــيش، ومـــات الإنسان،أجل!فقد مات الإنسان.

أكادير:2003/7/9

المسافة (17)

من أجل لا شيء ،
أنا مرمي هنا ...!

1- وماذا كنا نكون غير إحساس مكتهل، وتجاعيد أيام، وبقايا حرمان،وملحمة عشق خرافي،وروح يملكها النزيف،كأس مهانة،يزرعنا التيه في غياهب النسيان، ترسمنا الثانية مجرد إطار لصورة إنسان،نحن الذين كنا ننتظرطيفا يخيط خرق الحال،يبددنا ويرشح قلبنا بفاتحة السؤال،من قال أن العيون تدري سرالبكاء؟من قال أن تلك العيون سترسم بالتيه مستقبلا بلا قسمات،مثل حاضرنا السكران،حيث أجسادنا خرقة تخاط إلى الأرض ؟
2- سجين بهذه القلعة،سجين سأبقى،حتى تنصفنا إن شئت،مرآتي البحر،وقصري الندى،سجين سأبقى بهذه القلعة،سبعة نوافذ على الريح.
عفوا ستة نوافذ على الريح!لاتسأليني يا حلوة العينين، أشعلي نارك في موقدي ، فقلعتي رانت عليها الثلوج ...
أذكر خمسة نوافذ على الريح هي بلا شبابيك ، من يصرخ شمالا يا حبيبتي؟النهرالذي يجري في عنفوان،وهذه أمواج البحر تروح وتعود،بين مد وجزر،فاملئي بيتي عافية،بل الآن نافذتان على الريح، من؟ من يتنهد شرقايا حلوتي ؟ أنت ... ذاتك حيث تعرجين آفلة النوافذ،نافذة يتيمة على الريح، من ينوح غربا يا أنت؟أنا حي/ ميت، قادم إلى مثواك،فمن أجل لا شيء،أنا مرمي هنا !!

3- يتكسر الحلم في عينيك ، شظايا من بريق، يترنح الهمس سكرانا،قالت ومشت،أعادت القول، دون أن تعانق حلمنا القابع هناك،الآن هي تمشي دون مظلة أو قمر ... قالت وقالت ... ولم أنبس ببنت شفة،لكن الشمس تبرد في جسدي،والدماء كالجليد،يعصرني الصمت،وأظل أمشي.
أنا منذ الآن:ـ لن أنبس ببنت شفة ...

4- استريحي جانبا على النافورة فدوما تأتين متعبة ،ولن ينتابك مني أسى ،هكذا افعلي،بربك لا تكثرتي،تبا أي

سخف ؟!للجحيم كل هذه الخرافات،وهذه الكائنات الخرافية،للامبالاة كل المجد،ولا ظنون.

5- رويدا،رويدا،لا تزعجي الهدوء،ولولي بإيقاع غير شبيه،بطيء،مهلا!بطيء جدا،بربك لا تسأليني،هذا هو الإيقاع الوجيه ولن يتصيده متلمس،غردي،وارقصي هذا هو الإيقاع البطيء،غني للشفق،للقمر الذهبي،فالشمس قد ماتت وكفى،والأفراح حزينة ،والغروب بنفس الإيقاع ، بطيء،بطيء جدا...
6-أوتدرين؟وأنا الحبيس هنا لم نحب بما فيه الكفاية،ولم نحب الكائنات والأشياء،وكنا مع ذلك، نملك طفولة بريئة،حيث زرقة البحار،وكنا نملك الإختيار،كان اللؤلؤ في أعيننا محار،وكنا نغني تحت ظل أشجار البرتقال،فرحين نرقص على إيقاع انسكاب الأمطار،وكان الغناء بطيئا، بطيئا جدا ...

7- السفن بدل أن تغرق ، فهي تطفو،أو تدرين ؟! بالأمس عشر سفن غرقت بالبحر،وأحد البحارة جريح،يستنجد بمياه محايدة،كنا ...هناك كنا،حينها كنت تنظرين إلى زيت القنديل،لقد كنا مرتاحين وبعيدين،وكانت أحلامنا البسيطة مع ذلك مزعجة،حيث كانت الحرب لعبة على الوسادة ...
8- الآن أذكرك يا نجمتي الطالعة من عيون الغيب!أذكرك وأنت بدرفي ليل الطفولة،وأنت شمس نبوية طالعة،أذكرك جالسة بجواري،وأناكشيخ صوفي في عزلة على فراش المرض.
أوشيخ صوفي يوصي بإبادة كتبه بالنار،وتحليلها في الماء،وأن ما أنتجه شيطان حقيقي ملعون،كله خواء،والتطهير ماء أو نار...
9- آه ! يا طبيبتي،أذكرك جالسة بجواري،وأنا الميت الولهان،وكنت تصلين من كل الأعماق ، تقبلين جبهة

القدر،ترسلين باقة من الصلوات علها تخترق مدن السماء، فتأتي بالفرج الإلهي ...
حيث أنا المرمي بهذه القلعة، بين الندى والبحر.
10 – هاأنذا مفقود مولود،مولود مفقود،أبحث عن نفسي قليلا،فلا أجدها إلا ناقصة مشوهة،أومجزأة،أتلاشى في ظلام السواد،وفي شفاف البياض،وأضيع في غمرة الوحدة القاتلة بهذه القلعة.

مرتيل _ تطوان
25/06/97

المسافة (18)

وهم في ليال مقمرة... !

الرياح تناوح خلف نوافذ بيتي،وأبصر لا شيء في هذه العتمة المدلهمة،الرياح تصفق نافذتي !ليس غير عذابي،وغياب المعنى،ثم أطل منها على غيابنا،وهوامشنا المنسية،الغربة قاتلة،غربة الذات تتحرك في اتجاهات عدة،والغياب يتآمر،يحمل سحنته بين يديه،يقسوويزيد من زيف و قبح هذا العالم،غريب هو هذا الوجه الممتد في تجاعيد الوقت،مثلما يتورد الوجه من كلمة حلوة،مثلما الدفء يغزوجفون الندامى،تعشش عندي السكينة،و لم يكن كافيا ما أحمل من آمال عريضة،وقد حل الأمس محل الغد،فالسماء رمادية،وهذه الريح العاتية تدوي بالشتات،توزعني بين مساءات باردة،هي قادمة لا محالة. وما علي إلا أن أستبشر بالريح...،فقد يتناهى الغيث المدرار،وتنحث غمامها عند الوقوع على شبابيك النوافذ.

****

لقد كانت أمي دوما تجادلني بأسماء الرياح،و ليس لدي ما أقول،فأنبؤها بالحصاد من فراديس الرماد شوارعا،والنهار الخافق،وموائدالصيدالمهذب،والأصدقاء إلى جدارالوهم يقرأون الوقت،في صحف الوجوه ينوئون ويحتفون،أصغي لثرثرتها،ثم تقول:ــ (أي بني) لا ريح في هذا الهواء،وصوت المدافع في كل مكان،يزرع الجوع،ويحصد الأبرياء،ويقتلع الحجر، فأرى الإحتراق يمد الخطوإلىالبقيةمن بقايانا،وهذه الريح القادمة تدوي بالشتات إلا قليلا...!

تجثوا أشجاري غصنا ،غصنا، في لغوب تعب،أنا والوهم سيان،حينما يحرضني ناراعلى كمد، ويوزعني على مساءات باردة،و أوراقي لا تحدث خشخشة،تتراكم

مصـــفرة فـــي مهـــب النســـيان... تنظـــر و تستبشـــر بالعبث،أكـــداس ورق منتشـــرة مبعثـــرة علـــى بســـاط الأرض،وكـأن الريـاح العاتيـة هـزت جميـع الأشجار،فتسـقط الأوراق هامدة،فقد عصفت ثائرة،ولم تترك أية ورقة!
وهنـا!لايزال الغيـاب يتآمر،يحمـل سـحنته بـين يديـه،وأنا أطـل علـى غيـاب المعنى،وعلـى هوامشـنا المنسية،كما الباحـث عـن إبـرة فـي غابـة،لكنها بـلا أشـجار،لذلك أقـول كـل شـيء... بـــالأمس تراكمـــت الأوراق تستبشـــر بعبـــث الريـــاح،واليوم اقتلعـــــت الأشجار غصنا،غصـــــنا،والأمكنة صـــــارت قفرا،بارداقـــاتلا وبالقلـــب أكبر غصـــة،موت المعنـــى صـــقيع تفجـــر بكـــل صـــلابته،ليجرف فـــي تيـــاره الصاخب،صـــراخ المعـذبين فـي أعمـاق الفـراغ. سـحاب أزاح السـحاب، وأشـعله مطرا طيبا...

الغـائبون تحـت التـراب أكثـر حضـورا منـا،لم تبـق لـي غيـر ذكـــراه الجميلة،صـــورته علـــى الجدار،وحيدة،لاأحـــد يشـــعر بكآبتهـا غيـر مسـمار،عيناه تحـدقان في،وكـأن أفكـاره تضـايق الوحـدة،ترتل أشـواقه فـي ثقـوب الشـبابيك،وكأن واحـدنا يشـبه الآخـر- والريـاح تنـاوح خلـف النوافـذ- لـم يكـن يحـب الصـعود إلـــى القمـــم، أو الإبحار،لكنـــه كـــان يحـــب البحر،يســـير قريبـــا منـــه،يتبع الغـروب إلـى أقصـى نقطـة،وكل مـا فخـر بـه فيمـا مضـــى، صـــار مجـــرد تخـــاريف،لا تســـمن ولا تغني،وعبثـــا حـاول الخروج،عبثـا حـاول تضـميد الجـراح، بـالحلم والتمنـي و الرياح التي لا تأتي بالإشتهاء.

كـــان دومـــا ينـــام بحذائـــه المثقـــوب،لأ نـــه دومـــا كـــان يحلـــم بالحـــب و بالســـفر البعيد،ولـــذلك فـــهو لا ينـــام كثيرا،فهـومجرد كـائن بسيط،يسـعى أن يكـون لـه مـن شـيم الإنســـان حفنة،ووجـــه بـــألف ضحكةوضـــحكة،لكن هيهـــات !هيهات !فقد كان له في القلب أضعاف اللوعة والحسرة.

هاأنـذا أحفـر ذاكرتـي، كمـا يحفـر أعمـى فـي ليـل عميق،وحـدها المسـافات تجفـف عـرق اليد،رصـيد مـن المـوت والإنتحار البطيء،رصـيد مـن البـؤس و الإنـدثار،و الصـبر والإنتظار...

والريـاح تنـاوح خلـف الشـبابيك، فقلـت :ـ يـا نافـذتي التـي يقف فيها عصفور بجناح واحد،والآخر مقصوص...

هـل كـان يفهـم البحر الصـارخ ،الملسـوع بـالنوارس والبجـع، وترامـي المـوج فـي غضـب و صـخب؟وهل كـان يفهمـه لمـا يزبـد و يرغـى،وتجهش بعـد ذلـك بالبكاء؟ولمـا كـان يفـيض علـى شـاطئه...؟!وقلت فـي نفسي:ـ حتمـا كـان يغـرق مـا حولـه بالماء، وقد سحب ما حوله من قصور الرمال وآثار الأقدام.

****

هـذا الـذي عرفتـه،زمنا ضـاربا فـي الغياب،وبحرا،كلـه بحر،يقتفـي خطـى السـعد،لكأ نـه المحـال، ولمـا كـان يشـبهني ويتلبسني،نهرته،وصـحت(وفي القلـب جرح):ـاسحب ظلـك مـن ظلـي واتركنـي أرحل!،فقـد تعبـت راحلتـي،ودون الصـحور رياح الأنواء،وأنـا الـذي أدركـت بـأن البحـر فـي كـل شـيء، ولكـن فـي كـل بحر عنـاء ،فـي كـل بحر عنـاء ومـا كـان لي إلا بقايا ثرثرة.

المسافة (19)

اشتـــهـــاء

آه ما أقصى الجدار
عندما ينهض في وجه الشروق
ربما ننفق كل العمر
لكي نثقب ثغرة
كي يمر الضوء للأجيال مرة
ربما لو لم يكن هذا الجدار
ما عرفنا قيمة الضوء الطليق

(أمل دنقل)

يشاء من يشاء أن يقطب جبينه،أن يدرك الآن بفوات الأوان،فات الأوان حقا أن يشاء من يشاء أن يقطب جبينه،أوأن ينشغل بانشغالاته الملعونة، وبصرف النظرعما قد يقع،فقد شاء الوليد أن يتختر في كتان أبيض بالدولاب،تحتفظ بعه عاهرة لوقت الشدة،ربما اصفرأوماعاد موجودا!

شاء الحب أن يتحجرولم يعد له أثر،قيل بأنهم في الشمال يقتلون أحباءهم،وفي الجنوب أنا رأيتهم يقطعونه إربا إربا،ويبيعونه بالتقسيط،، وسمعت بأنه في الشرق مشكوك فيه،وأحيانا في حيص بيص،وأهل الغرب لا حب لهم،شيء واحد، فقد شاءوا جميعا أن يضيعوا الحب للأبد.

تشاء بسمة أن توشح القسمات في حياء، تطبعها شفتان مرتعشتان،ويشاء دخان سيجارة مرتاعة،أن تعانق غمامة منبعثة من فنجان قهوة، تشاء الكراسي الندية أن تتعشب وترتب لقاء!

يشاء من يشاء،أن يموت،ويموت مرات عديدة،ومرة أخرى،يتسنى له أن ينسأويتناسى مع الأيام،يلملم شتاته،يصر على المكابرة،يتصدأويتحدى مثل الحديد،ويحيا من جديد،لكن كل شئ يموت مع الزمن،ومع الوقت،فإن وقته ينتهي...!

يشاء من يشاء أن يتدافع جنبا إلى جنب،دون أن يقطب جبينه،ويكشتف بأنه فات الأوان حقا أن يشاء ما يشاء،ولن يمهلنا الوقت لأن نشاء ما نشاء!

تطوان:98/3/7

المسافة (20)

تـقـاطـــع

أيامنا كالشتاء القطبي:
ساعات الفرح فيها كالضياء خاطفة
و الفواجع كالليل لا تنتهي
للإشراقات أوقات
ما أسرع ركضها !
وللظلمات المواسيم المقيمة !

(جبرا إبراهيم جبرا)

كـمن يتهيـأ للمغادرة،لكنـه سـرعان مـا يعـود ليخلـع معطفه،وقبعتـه ودثـاره ويعلـق كـل ذلـك علـى المشـجب،ثم يـدلف إلـى الحجرة،ويغلـق البـاب الـداخلي وراءه،ولفتـرة طويلـة ظـل يرتـب احـتمالاته،حتى بـدا لـه القرارفـي النهاية،بعـد الـذعر المجنـون الـذي تـراكم علـى وجهـه الممتقع،ووضـح بصـورة أشـد مـن ارتعـاد شفتيه،وحالـة التقـوقع المخـيف التـي طـحنت رأسـه،وجعلته يغـوص بـين كتفيـه،ضاغطا الجـزء الأكبـر مـن عنقـه تحـت ياقـة القميص،يرتـدي ثيـاب الخروج،تاركـا معطفـه الثـقيل،الأرواح الخشـبية التـي تجـوس خـلال الضـوء والمرايا،منـذ سـنين لـم يحـدث ممـا ترقـبه أي شيء،كـانت الإرادة سـنده وعضـده الوحيـد لتكسـير هذه الوحـدة،والآن يهـبط السلالـم العريضـة فـي خفـة طائـررافعـا المكـان إلـى هيئتـه،وقبل أن يفـتح البـاب توقـف برهـة كمـن فطـن إلـى أن الشـارع يعـوم بخيـال عتيق،هوالـذي كـان يرقـب مـرارا أن يـرى دمـارا يعـم المكـان يكـون للمأسـاة علامـة،ثم هـا قـد صـار لا يستطيع الخروج و لا العودةإلى الغرفة....!

لـولم يتـرك معطفـه الثقيـل،لولم ينـزل السـلالم،ماذا سـيحدث لـو اعتـزل النـاس،واعتكف فـي بيتـه لا يبرحـه،أجل كـان وحيـدا إلا مـن وحدتـه القاتلـة،يطفئ النوروينـام نومـا عميقا،حتمـا لـن يتغيـر أي شـيء !!مـاذا يفعـل الآن؟سـوى أن يتناسـخ،أن يتنـادى وأشخاصـه الآخـرين بـين يقظـتهم والسبات،صـدى يطـول،وفراغ يتناسـل والمسـتحيل مـن أمـاني البارحة،لا شيء غير الموت في الظلام.

يفـتح يـداه لكـل صـدفة أومفاجأة،كـان التطهـر الحقيقـي علـى مـا يبـدو أن أعطـى الفرصـة لكـل مـا يجري،كـي يطـارده إلـى نهايـة الخـط المقـوس مـن الـدنيا،فاتحا أذنيـه بكلتـا يديـه لعوائـه الملتاث،لحظـة أن لمـح الإشـارة،وهرول إلـى بـاب الخـروج لكـن كـان عليـه بدايـة و قبـل كـل شـيء،أن يحمـل النهـار وأجـزاء الليـل علـى كاهلـه مبتعـدا،كي يجـد الوقـت

الكـــافي ليبكـــي ذاتـــه،فممكن الأمـــس القريـــب يغـــوص فـــي المحال،وحـده!لم يكـن وحـده واقفـا فـي التقـاطع بـين الخـروج لملاقاة هذا المساء،أو العودة إلى غرفته،ولم يستطع ذلك!؟

مرتيل:98/03/30

المسافة (21)

وظلي فقط،يصبح ظلين...

أنا أعشق حب البحارة
الذين يقبلون،ثم يذهبون
يتركون وعدا،
ولا يعودون أبدا...!
وفي كل ميناء،امرأة تنتظر،
والبحارة يقبلون ثم يذهبون،
وفي ليلة من الليالي..
يحلمون...!

(نيرودا)

-1-

هـا أنـت تنشـر عاهاتك المسـتديمة كالمعتـاد، وتشـرب بـــالآخرين قهوتـــك الصـــباحية،وتفجرمكنون خبثـــك ومكرك،وتبحـث عـن ضـحاياك لممارسـة عقـدك التـي لا تنتهي،أشـهد لـك بتمـام عبقريتك،وبمواهبك،تحـاول أن تبـدو أرفـع، تثيـر حـرج وقـرف الآخـرين، تجامل،تنافق،تحمـل صـورة الخـائن والنـذل والمتملق،كـل أولئـك يحتشـدون حـين تضـحك لنفسـك فـي المرآة،يرقبونـك!ثـم تتحـول إلـى عـبء ثقيل،تقـامر بكـل مـا لـديك،ما يبـاع ومـا لا يباع،كـائن لا يتحمـــل ثقلـــه ونزاقتـــه،لكن بالنســـبة لـــي أعـــرف مقدارضعفك،خســـــــتك!وحقارتك،فأنت تافـــــــــه كأيامك،ماكركزمانـك،حقود مثـل عينيـك الغـائرتين كعـين ذئـب حـين تحتـرق،ولم أعـد أميـز فيـك غيـر الشـفتين المطبقتين،والمنفـــرجتين عـــن طيـــف ابتســـامة بلهاء،غـــادرة!فحـــذاري أن تأكـــل ذاتـــك؟إني أشـــفق عليك،وأعرف بأنها ليست النهاية...!

-2-

ليسـت النهايـة حـين ترمـي بثقلـك علـى كرسي،تضـع رجـلا علـى أخرى،كإمبراطورتبـدأ لعبتـك اللعينـة،تتراءى لـــك الدببـــة،القردة، الزرافـــات، الخنـــازير،الكلاب واللحوم،اســـتعراض لا ينتهي...،وأنـــت مكانـــك تمـــارس عقـدك السـحلبية كثورهـائج، وتبحـث عـن ضحاياك،تحصـي الصراصير،تشوش الذباب!وليست النهاية!

-3-

هاأنـذا أحلـق فـي متاهـات الوجـد فـي أزقـة المدينـة،ليس لـي إلامغازلـة الجرائـد،وتتبع عـورات السماسـرة والوصـوليين،أدخن بـنهم،وأكلم ذاتـي كـالمعتوه بصـوت أغـن،والأرض ذكراهـا صـارت حجـارة زمني،وسـيلا مـن رمـاد،أغطي بـالرموز حـدائق الأحياء،عرافـا تحجـرت النبـوءة فـي دمه،أشـتهي شـرفة مضـاءة ونهـرا صـغيرا!وبضـعة ورود،وتـأتي رائحـة الزهوروالمـاء الأخضـر،وبعد التيـه،أجالس ذاتي،أضـعف مـن قـط ليلى،وأشـرد مـن جديـد فـي هـذا الأفـق الرحـب والمكـتظ، التـائهون والمعتوهـون،ولا شـيء سـوى الزحـام وتضـيع فيه،تحـدق فـي الوجـوه والوجوه،كـل المـلاح كالحـة! هـذه هـي محطـة المسافرين،الأضـواء سـواطع فـي كـل جانـب مـن الميـدان الفسيح،الذي يغـوص فيـه النـاس،وتحيط بالميـدان المقـاهي المملـوءة بـالرواد، والضـحايا الوافـدون مـن كـل بلد،وأبـدأ السـفر مـن جديـد ككـل بدايـة أونهايـة!والرفقـاء هـم الرفقاء،أجالسـهم أو يجالسـونني،فكل مـا أعرفـه هـو أننـي دومـا حاضـروغائب،ومهما يكـن أنـا لسـت هنـا،فلا تخبـر أحدا،ولا تعطي لنفسك قيمة،فلن نغير العالم !!!

المواضـيع هـي المواضـيع،والكلام كثير،ولاشـيء إلا الكلام،وأسـماء المـدن المتزاحمـة لا تنتهي،والمسـافرون لا نهايـة لهم،قـال أحـد الحمقى:ـ لـم لا يمتطـون حافلـة واحـدة ويتجهـون لمكـان واحد،وقهقـه بـلا توقف،وقـد أخرجنـي مـن شرودي،رشـفت مـن قهوتي،وتابعـت حـديث الأصـحاب مجـاملا إيـاهم بالإنصـات،حتى وقـف أحـد ملمعـي الأحذيـة،عزفت بـادئ الأمـرأن ألمـع حـذائي المغبر،فبادربالإنحنـاء مرغماإيـاي بالإمتثال،كـان لطيفـا فيمـا يبـدو،ثم اشـترطت عليـه مازحـا بـألا يتكلم،فحياني،وسـألني مبتسما،فابتسـمت،قائلا،هذا الـذي قلناه؟فضـحك كثيرا،فمـه المنفـرج يبـين عـن أسـنان متآكلـة،كان ثمـة انكسـارباد علـى

سحنته، حدقت فيه مليا،ساقاه شبه حافيتان كالقلب،تعطي الإنطباع بمحنة الأيام وقساوتها،ناولته كأسي ليرتشف ما تبقى،ثم أردف:ـ أنت أبي،فاستلقيت على الكرسي من كثرة الضحك كالمغشي عليه،وضحك الرفقاء كثيرا،وصار الضحك بكاء، قهقهنا حتى كادت أرواحنا أن تخوننا،وبكينا حتى لكأننا نكاد أن نتقيأ أمعاءنا فانسحب حزينا هذا ما يقع في كل مرة،وفي كل محطة،فمتى أنام وأنتهي ولا أفيق،وتمحي الريح علامات الطريق،وفي يدي تذكرة ذهاب من غيررجوع...!

هاأنذا أحاول أن أفهمك،وأضع لك النقط على الحروف لكي تفهمني،ولأبدولك صفحة بيضاء مجلوة،تفهم أغوارها،فلا تحتاج معها لفك الرموز،ومنذ البداية أرمي لك بكل أوراقي،لتغرب عن وجهي،لكن دون جدوى،لكأنما المحال أطلب،أنت الذي تفضل العسير على اليسير،فما كان صعبا أن أتلبس لك،لكي أقنعك بأي قناع،ما الفائدة!؟على كل حال،ها أنذا أحاول عبثا لأعود معك للبداية!أنا الذي لا حول له أوشأن،أسائل الصمت الذي يخنقني،ونحن جرحى الروح،لم يبق إلا الموت،أشعربأن كل النجوم تحط على كتفي،والشمس قد ارتعشت لما بللها وهج الرحيل،أحس بأني موج تحطم فوق الصخور،وبأني طيربدون جناح أوفضاء،وبأني فراغ،ورأس بلا دماغ،أقل من لاش،ومن التعب يلبسني الصقيع خريفا،أنا الغياب في بحرمن ألف قرار،وأنا ما اخترت يوما،ولاامتلكت الإختيار،أنا الملقى على كرسي من تعب،أنزوي هناك بقادوراتي،هو منتهى أفقي،فقد تولتني الأيام بالقذف،وها أنذا أتدلى على حافة الهاوية،اختلطت علي المشاعر،أضحك أو أبكي،فليست النهاية !!

وحينما أبدو لك وديعا،أقدرإنسانيتك،فلا تقدرها،تريد أن تنقض على الأخضروالياس،تبدو كحيوان كاسر،تجثم على قلبك قبل قلبي،وأصير بالنسبة لك ضحية،تزم شفتيك

علـى بسـمة ساخرة،وتشـع عيونـك فـي محاولـة للوثـب،تحرر تحررإذن من عقدك !!
تحـــرر،ولتكن النهاية،نهايةعقدك،تقول:ـــ البدايـــة فمـــا الفرق،هـــا أنـــت تلـــتقط ســـهام ورأس الخيط،،ولـــك مـــا تريـد!دورك أفهمـه،لكن أعـرف معرفـة اليقـين بأنـك لاتقـوم بـــه،فبالأحرى أن تتقنـــه!فلوكنـــت تعيـــه لمحونـــا هـــذه القهقـرى!وتنـأى المسـافات بيننا؛فمـا الفائـدة!فـي أن ترتـدي بذلـة فـاخرة،أو تمتطـي سـيارة معارة،أوتجلجـل المفـاتيح فـي يـديك،أوتكلم فـي جهازهاتفـك فراغـا،أو فـي أن تضـع نظـارة علـى رأسـك،إبحث يـا حبيبـي عـن صـيغ أخـرى لمكـرك وممارسـة عقـدك!فأنا الـذي سـبرت كـل نظـرة لـم تلقيهـا بعـد،وكل حسرة،أوغصـة،أوفكرة لـم تفكـر فيهـا بعد،وقسـت كـل بسـمة وسـحنة،وخبرت وقـع كـل خطـوة لـم تخطوهـا بعـد،ولوفهمت ذاتك،قبـل أن أفهمك،لأضـفنا قمـرا إلـى قمر،وشمسـا إلـى شـمس،ونجما إلـى نجم،ولصارالشـيء شـيئين، وصـرت مضـاعفا اثنين،اثنين،مثـل حبيبـين،لكن يفنـى صـوتي وظلي،كـأني التبـاس بـين مـا اشـتهى والوجـود وجوم،أدوس،أبصق حقارتك،وظلي فقط يصبح ظلين ...!

الجديدة- تطوان:99/8/23

المسافة (22)

مـقـاوم فـي
زمـن حـلـزونـي...

كالحلزون،عهدناه مرحا،خفيف الروح والظل، في الجد كما الهزل،كنا ندعوه" بابا سيدي" نجتمع إليه كلما عدنا من المدرسة،يرشدنا ويقدم لنا نصائحه الغالية،وكان يحكي لنا حكاياته التي لا تنتهي عن حرب "لاندوشين"،وفوق كل ذلك،لا يبخل عنا بالشكلاطة،والحلوى والنقود،كنا منشرحين،وكان يبدو سعيدا،كلما اجتمعنا حوله،وكأننا أولاده وأهله!وما ترسب في ذاكرتي المثقوبة،أنه كان أول من أعان فريق حينا"للا أميرة" لكرة القدم،بهذا الحي كان ينزوي أشبه ما يكون بنفاية،رمت بها يد الأقدار الخفية،وقد اتخذ من دكان ضيق بيتا له.

بطول ثلاث حيطان صورمن ورق الإعلانات لممثلات"هوليود"،وعلى دفة من دفتي الباب المتآكلة بطفيليات الخشب،علقت مرآة مكسرة تبعث عن جرح قديم عميق،كأخدود انكساري لأحلام وردية ضاعت في أعقاب الثقاب،صاحبها يعيش أحلام"الدونكشوت"،وتحتها مقلاة لطهي سمكه الملوث بنفط بعيد،وشبكة صيد حمراء،ذات عيون كبيرة،لم تعد تنفع أمام شباك مثل الغربال،وفي أعلى الدفة المثبتة،علق قفص لعصفوره الحزين،وبالداخل عتبة من الأرض مرفوعة،فوقها حصيرة مجده الغابر،صفراء بالية،ممدة عليها زريبة من القماش المطلي بالرقع الزاهية،المزركشة بكل ألوان الفصول،تنبؤبتاريخ منسي الموعدوالفرحة،وفي الجانب الآخرمائدة من خشب العرعار،عليها إبريق شاي،كأس وصحن يذكربخيرات اليهودالمكبوتين بريح الإنتصاروالإحسان،وفنجان خزفي يشهد بعبقرية إبداع" العملي" مكسور،يضع فيه سجائره عادة،وعلى الأرض كرسي وحقيبة باليةفوقها مجلات،وجرائد من كل صوت وصدى،وعلب للتبغ،وبعض النقود ومذياع،بين هذاالمتاع،كان يبدو لنا سعيدا،وكان أهل الحي يستجيبون له في كرم،وكأنهم يقرأون وحدته،وكلما أحس بالجوع،كانت في انتظاره أطباق حافلة من الطعام،كان يقبل

عليها بكل شهيةونهم،ثم يقف خاشعا،مبهورا متنهدا،وهو يتطلع إلى عصفوره الوحيد،جاذبا أنفاسا عميقة من سيجارته التي أوقدها،وفي يده اليسرى،كوب شاي،وضباب السيجارة،والكوب يرتفع إلى أعلى،إلى أعلى،إلى أعلى...!

خمسة عشر سنة...،فباستثناءالأتربة التي صارت مطلية بكدرون" الزفت"والشيخة" الحاجة فاطنة"التي اشترت المنزل،الذي يضم دكان" بابا سيدي"و"مقدم"الحي العتيق،الذي غيرحجره الأساس، غير هذا،كل شيء قابع في مكانه،لا شئ تغير،أصبح الآن قبالة هذا البائس من شهادة السكنى،والميلاد، وشرف المقاومة،وصباح ككل الصباحات المشدودة بالملل،والتي لاتندر بميلاد شيء جديد لدى" بابا سيدي"،الذي تقوس ظهره،يحمل غسيله لينشره بالخارج أمام دفتي بابه المشمسة بخيوط عمودية،وكأنها تنسج خيوط زمن انفلت من قبضة يديه،ومذياعه يعاود ترتيلة صباحية قديمة "عش أنت"،يعاودها هو بتنهيدة من الأعماق،وهذه "الشيخة"منحنية إلى الأرض،تسيح الماء في كل مكان،كانت عظيمة الخلقة،تفتن بأردافها المتخنة وبشيء زائد،مكتظة الأعضاء،ورائحتها المنبعثة عن بعد،جذبت هذا" المقدم"الذي يرغي ويزبد معهافي الحديث،وسهام نظراته تحلل،وتفصل تفصيلا،وتمتد إلى الأ عماق،وقد وجد في هذا الجهد الآثم لذة،تفسرها حركات فمه،دفع"بابا سيدي"الباب،وكان له صرير كئيب،وهو يردد حنحنة ،وآخ...،ويطيلها،كما أن آثار الجراح في عمقه يبدو أنها لم تندمل بعد،من هؤلاء الذين يسقطون،ويفوزون!؟أشعل"بابا سيدي"عود الثقاب،وعلى ضوئه إهتدى إلى الداخل،كان يريد أن يتكئ،لكن أشياء كثيرة كانت تحدث من حوله،أحس برجفة تهزه،الوحدة،الملل،التعب،والإرهاق،والأيام المتشابهة!؟صمت وسكون،ماضيه كله شعر به؛فجأة،أحس بالإشفاق على نفسه،أحس بأنه مسكين،وأن حياته ليس لها معنى،وبلا قيمة،فلماذا يعيش؟!بل وكيف عاش الفترة الماضية

كلهـا،لو كـان لـه بيت،وأسـرة ككـل النـاس،لو كـان اسـتقر،كان يحـب أن يعـيش فـي سـلام،حرا طليقا،والآن،بـل اللحظـة شـعرأن حريتـه قتلتـه،أحس بأنـه ميـت،ألقى بجسـده،لا يهمـه شـيء الآن،سـوى أن يرتاح،أحشـاء الفـراش تخـرج منهـا أسـراب مـن النمل،والحشـرات،أحس بهـا تتسـلل إلـى ملابسـه،ثم إلـى جسـده،هب واقفا،الضـيق يكـاد يخنقـه،غير قـادر،والموت يتسـلل إليـه فـي خفـوت،أحس بحجمـه يتضـاءل،وينكمش وقـد ألـم علـى ذاته!

ليبقـى ذلـك الإنسـان،الذي لـم يولـد لـذلك الشـيء،والذي تغنـى بأغنيـة" الخلـود"،في قفـص العصفور،متلبسـا بـروح لا تشبهه،وليكون لقمة لحفرة جائعة،والزمن حلزوني....

أسفي:يناير 91

المسافة(23)

مـدائـح لـلـوحـدة...

ما الفائدة ؟؟
حين يتنكر الأصحاب؟
ويطعن الأحباب،أو يتمسحون بعتبة الرحيل في وجوه
ما عادت تذكر أصحابها،
لربما افترشوا ثرثرتهم،وأيامهم الحلوة!
وقد نا موا كبقايا رماد، أو أنقاض،
وحين يأتون من أطراف الوقت أنت الوحيد، الأجرب،
وحدك!ماذا يبقى لك ؟
هي طريقتك في أن تكون وحيدا،
يتلبسك الوقت، وتنصت إلى ما يرسله الفجر
إليك وحدك!
وحدي على صهوة الوقت،
أتلو في صمت،عبارات تتدفق ألما!
وحدي على سطح الرمال،
وحدي واقف،على فوهة بركان،
أعدد قتلاي!كيف الأسماء تغازل صمتي،في كمد؟
وحدي أعبر متاهات النسيان...!
فتبحث أوراقي في تعب،ثم إلى النسيان،
أحدق في مأساتي، مثل شجرة منفية،منسية،
أو كشجرة تين عقيمة،ليس لها قيمة؛
ومرة أخرى شحوب..!
أحدق في مأساتي،مثل لوحة وحيدة على الجدار!
وأنا الذي رسمت بساطا،وجنانا من الحلم الأخضر،
أنا الذي رسمت شمسا،تغيب وراء المسافات أكثر!
أنا الذي رددت على أنغام العشق،بأني سأشق بسيفي كل دروب
النصر،وسأقطف هامات القهر،
كي ينعم غيري بعبيرالحياة،ورفع القيود،ودفع الضجر!
وتكبر الفرحة أطوادا من المرمر!
لكني ما علمت بأن الحمام بالغدر سيعدم!
ما الفائدة ؟؟ في حلم على امتداد بيداء بلا جدوى؛

هوخروجك من المعنى بلا صدى،ويسقط الحلم!
تأخذني الأيام الحلوة،إلى قلعة من غمام،
ونخل كرسته الفصول،ووجوه تزحف ببط ء شديد،
وعيون تختلس بفضول، كأنها تحرس أمواتا لا تعرفها،
كما لو أنها،لم يفتقدها أحد،ولا أحد؟!
هي طريقتك في أن تكون وحيدا ولم يعد هناك أحد،
يتلبسك الوقت...!! تشرب عزلتك!
ومرة أخرى شحوب؛
ثم أؤوب إليك أيتها الذات...!
ذات مرة،ومرة أخرى؛ويسقط القلب!
ثم أؤوب إليك أيتها الذات،
في أسمال شحاذ كما فعل" أوديسوس" في"الأوديسة"،
ماذا عساني أن أصنع لك أيضا؟؟
إذا ما أنكرتني في هذا الصباح،
ولم ترأفي بي أيتها الذات الغالية؛
ومن نهاية نفسي،أخرج وحيدا...!
لأبحث عن ذات أنتمي لمساحتها...!
ولأرقب لون اللون الذي يتغير نهارا،
لكن الليل أطول؟
وعندما تقرع أجراس الغياب برنينها القاطع،
ستبصرينني في أحلامك حد الموت!
ولا أحد سيقول ولو بعد حين،
قد تغير وجه الزمن المتعهر...!؟

* تمسية- ايت ملول:2007/6/6

المسافة (24)

متى يلم الحزن بقاياه،
ويرحل !؟...

-1-

بيننا و بين الذي فات دهر طويل...!
وهم ثقيل،وأحلام غر،
يجرحها بالسؤال التذكر...!
ماذا لدينا من الأمس !؟
غير الندوب على ظهر القلب...!
ملح على الوجه،تصلب،وملأ الشراع ثقوب.. !!
فحرك جناحيك،إن كنت تقدر،
يا طائر العمر،حرك جناحيك...!
و استبدل الماء بالريح،واستبدل الحزن و الصمت،
بالفرح،باللامبالاة،وبا لصيحة البكر،
بيننا،وبين الذي يزعم الناس آمالهم وهم ثقيل...!
والتفاصيل تقتل أيامنا بالجدال البليد،
فامتشق الآن،واخرج بالجواد الجموح،
رغم نزيف الجروح،
لا تمل عن طريقك،مهما تقاطر في الدرب نحوك،
هوج الحشود...!

-2-

لقد ضاق الصدر،لقد صدئ الصبر،
لقد ضاقت القيم،ويبقى الحزن حليف....!
فمتى يلم الحزن بقاياه ويرحل !؟
أخمن أني أصنع هذي الأرض من الدوران،
أستيقظ قاراتي من تحت الأرض،
أنسج للبؤساء،وسادات الأحلام
أرصد كل الشارات على الشط...!

أكاد أموت وحيدا،قبل أواني،
ومع ذلك أصر على المكابرة!
فأ تسا مى،ثم أشق بحوراوبحورا!
أصير مدى !!

-3-

لم تحط الطيورمرة هنا،أو يمر القطيع!
لو يجيءالراعي،الصبي الحزين،
و يجرحها بالغناء..!
أو تصب السحابة في حجرها شجنا،و صقيع!
أو تجردها من الظلال رياح،
لو يطاردها محتطب،
لو يقطعها إربا،إربا للحريق!
كان يمكن أن تتعزى،و تنسى،و تغفر أن
قد أفاءت مرارا...،
على (رجل) !! قاطع الطريق...!

أكلو- تزنيت:02/5/7

المسافة (25)

تـحـت الأرض

1- شحو ب

عند كل خريف،أتحول إلى شاعريكتب لنفسه فقط!
تتنوع المذكرات اليومية،
وتضطرأنت ـ أمام رائحة الموت و الجوع،والإهانة،
و فقدان الكرامة،وفي عصر شاحب زائف ـ
إلى مغالبةإرادتك بعبث قاتل،
تصر،تتعالى،تغالي،تكابر،لكن،عبثا تحاول!
فالطيورتقل والغابات تتسمم،
و فرحتي تتسخ،فهذا العصر مات!؟

2 - رحيل عصر

هذا العصر مات!دفنته يد الزمن الآت،
لا رائحة للعمر البشري،في بروق الزمن العدمي،
هذا العصر مات،أصبح سطرا مهملا في كتاب الأبدية !
نحن الآن تحت الأرض،لا رائحة للزمن!
و لسطور الدهر توائم!لاصوت يميزها،ولا لون
تحت الأرض،ويتشوفه(الأحياء/الأموات)
في زمن لا يفقه قدسية الموت!
هذا العصر مات،دفنته يد الزمن الآت
نحن الآن تحت الأرض...!؟

3- خريف

الخريف يربط بصري بالأرض، و الطريق
يجعل من الزمن العام، سؤالي الفلسفي
عن العظام،والنحاس،والورق،وأنا،وخلية نمل كرست
استعدادها،بانتظار تصور جديد للسفر.
فهذه الطرق،والأجسادالداخلية تشتت...!
خرج الطفل من الطفل،
بعد أن طردتني مدونة الأحوال الشخصية،
من حديث المقاهي...!

4- نصفي الآ خـــر

نصفي الآخر يصحو من تحت الأرض،
وفوق الأرض يحلم، يصير يعشق قاصرة الطرف،
يخطو،والخطوة الأخرى ظروف !!
و يتحين نضج هاتيك القطوف،
وأنا الذي كابرت وغامرت...،
أصير الآن صامتا،شاحبا،وحزينا،وأرىأعداءنا،
خطوتهم خارطة،لكن!نصفي الآخر، يصر، يغالي،
يركل عجيزة التاريخ الهادئة،
من أجل الفراغ،يملأه الشعراء...!
من أجل الشهوة،قبل انتماء الطبيعة إلى عقلي،
من أجل الوهم!من أجل ذلك كله...!
أنحني إلى أصابعي فأجد البياض،أجـد الســـراب...!

الصويرة:96/1/26

المسافة(26)

ارحميني...
لست شاعرا...

"في ذكرى أبو طويس..."

ارحميني لست شاعرا
صدقيني سئمت الذكريات
ماتت أحاسيسي،ماتت كنغمة في قعرالمحيطات،
لا الناي ولا العود يسمعها،
سوى الموج الصاخب في الطرقات،
يحملها،يرسلها أنينا تبكيني وتبكي الحادثات،
تسلبني روحي،تفنيني،تسرق أيامي الباقيات،
تزيحني عن محيط العاطفات،
ارحميني لست شاعرا
صدقيني سئمت الذكريات،
قلمي كسرته،رميته بعيدا
وكل شيءمات في حسرات...!
تبلد الإحساس،وغاب الإلهام،
وماتت القيم،كآخرالأغنيات...!
ارحميني،لست شاعرا
صدقيني،سئمت الذكريات
أليست هذه أعينك...؟
وإني أرى فيها شتاء يمشي
مكبلا،أسيرا،متعبا،وينبئ بربيع مثقل بالأنين...
فما عاد وقت للحب ولا للحنين...،
وعندما يكفر الظل بانتمائي،
خذي جسدي،مزقيه أشرعة وسفين،
وابحري في دمائي...!
ربما يا سيدتي،يحيا بك هذاالسجين،
يحيا بك هذا الدفين،
يا نقطة العبورمن دمائي إلى دمائك...!
ها برد الأموات يصب في جسدي من سمائك!

وأظل أغرق،أغرق في هجير قرارك ياسيدتي!
ها كل النجوم تحط على كتفي،وترتعش الشمس..
يبللها وهج الرحيل!أتراك ترحلين...؟
وللفجر احتراق،يسيل وهجا مسيجا بالإغتراب؟
وإني أراه الآن،يا سيدتي متعبا...!
يمتطي زرقة الليل كي يستريح.

****

هو الآن!يسكنه الحلم،يؤلفه الموج،
كآخر دمع تجفف في عين الباكيات!
ارحميني،لست شاعرا!
صدقيني سئمت الذكريات
ماتت أحاسيسي،ماتت...!
كنغمة في قعر المحيطات،لا الناي ولا العود،يسمعها
سوى الموج الصاخب في الطرقات،يحملها...
يرسلها أنينا،تبكيني و تبكي الحادثات،
تزيحني عن محيط العاطفات
صدقيني...سئمت الذكريات.

- أكلو،تزنيت:02/5/7

المسافة (27)

القرار الأخير...
محاولتي لأن أكون
سعيدا...

الباب: بابك...!
وهذا القوس المتهالك،وسط المبنى الأثري،
والأسوار:أحجار عتيقة،ومزهريات على الجدار:
أكاليل عشق،نبتت بين الشقوق،
نبتت فوق...!
عنوة نبتت،عوسجا و زنبق...!
****
الفانوس: فانوسك...!
وهذا الزجاج البلوري،يتراقص نشوة،
ويكبرفي العيون كورد تـفتق،أونجم تألق،
وهدير البحريدوي الصخور،
ومن الإرتطام،أمواجه تتفجر...!
وكأنها ترنو إلى الحالمين غربا و شرق،
تشدوبالحلم المتماسك فيناوشما،لاحبراعلى ورق،
وشما في أجسادنا المشبعة بالسفر البعيد...!
تنطلق،تنطلق بلا أرق.
****
الوقت: وقتك...!فاخلع نعليك وادلف،
لتصفع وجه الصباح فينا...!
لتكسر–واجهتنا النائمة على الأماني العتاق-
كسرهارعدا،وميضا وبرق...!
وضع أشلاءك،وكأن لاأحد،والحق!
إلحق بالحالمين،فالكأس بلا قرار...!
طبعا ولا أحد سيبالي!
ولاتسألني عن الذي سيكون...!
لا تسألني عن الذهاب والإياب،
لا تسألني عن الغياب...!

لاتسألني عن الدفء،عن الأحباب،عن الأرق،
عن الإنحساروالكسوف وإدمان القلق،
طبعا لا أحد!قد يعبرون،سيسكنون،
سيذكرون في المقاهي وبين الدروب،
التي خبرتنارفاق،لما كنا نتطارح الهم كالأحباب.
سيذكروننا لحظةغفوة...!
سيذكروننا،لكن مجرد فحيح سؤال...!
مثل شاي بارد، منسي،أوكطفل سجائر التقسيط،
أجل سيذكرون!ثم ماذا سيحدث،
سنتمدد على الأرض الباردةوننام...
ننام بعمق،ثم ينسون...!
سيذكروننا فحيح سؤال،
ألاحق في الأزقة الساعات،فأغدو خلفها،
هذه الحيوانات الجميلة التي تحمل حقد الإنسان،
والساحات غولا في وجهي...!
ومن باب إلى باب،أشدو كحالم،
ـ أنا الذي أغوتني هذه الأبواب بمساحيقهاـ
ضيعتني خلال تسلق هاماتها...!
وجوها غزيرة تطلق عنانها للريح...!
أصعد هـــــذي التلال،كماأفعل كل يوم،
والسنوات الخاليه،كي أتسلى قليلا...!
ثم أقف على قمة التلة هناك!ككرة ثلج،
أتحلل،أنساب من غيروعي،
في مهب الريح المجنونة،تقذفني نحو الهاويـــة..!
العلامات،واللافتات تحركها الرياح،
وأنا المتدحرج،لاأقف!تائه في مهب الريح.
كفكرة متحررة،أدق،أهتف عند كل باب ،

أصيح:أين الإنسان؟أين الإنســـــان؟
فلا ألقى لدي سوى فحيح سؤال،
فأدوب كالجليد أمام النار،
ثم أحمل غصصي الحرى،وكل ما سكن،
من وحشة،ووجد،من وجع، وحزن،
جثةهامدة،تهاوت على الأرض،
تغرق الوحشة،تغرق،تتعمق في بحار دماء
بريئـــــــه،تغرق بلا قرار!
فلا تغريك الأسوار،ولا تهمك الأخطار،
سوى ثقل الهواجس الإنسانيـــــــه.

****

فتحت الباب،فاندفعت رياح قويـــــه،
غالبتها سائرا با تجاه البحر،
أحسست بعياء،التفتت،رأيت إنسانا تفكك...!؟
سقطت من راحته الأكف،والأصابع...!؟
انهمرت الأطراف ،والأنف،والعيون...!
انسل الدراع ثم الدراع،
انخلعت الساق ثم الساق،لم يعد شيئا!
أحقا كان!ذبنا في رحم الأرض!؟

****

خلف الأبواب هناك،
كانت الفتيات يصدحن بالغناء،
والمنتزهات والخضرة!
وحفلات الفروسية،والزغاريد الآسره!
والماء العذب،والروابي،والغدران!
وأعشاش الطيور،وأجران الحبوب المتخمه،
والنوايا الحسان،كان الإنسان/إنسان!؟

****

وراء هذا الباب،قطط لامعة العيون!
تموء بين الخراب،
وأخرى هائجة تتقاتل بين صفا ئح القمامـــــه،
والجرذان،والغربان،والجماجم،وهياكل لوجوه،
أقبع خلفها،غرابا في الأنقاض ينعق.
ثم أسير في وحشتي ضاربا في زحمة الدروب،
وقد سدت أمامي كل الدروب،
شحت ينابيع مائي،وليلي طويل ثقيل،
برد الكآبة قاس يزحف،
وأوجه خطواتي نحو المجهول!؟
لا نهاية لي، ولا بدايـــــــــــــه!؟.
فأكتشف أن كل لأبواب:مزيفة،دنيئـــــــــــه!
مهترئة،وقاتمـــــــــــه....
غيرذاك الباب،
محاولتي الأخيرة لأن أكون سعيدا!
وقد هيأت للترحال ـ من وجع الفؤاد ـ مراكب،
أشم رائحة الإخضرار،يتسع القلب،
يسكنني النورمن بدايته!
أراه بروحي،وبقلبي أراه ويأسرني!
يحملني إلى آفاقه الرحبه،
ولن أخيب،هوالباب الحق،حين تسد كل الأبـــواب...!

المسافة (28)

شذريات/توقيعات/
موشومة...

وماالوجه،إلاواحدغيرأنه
إذا أنت عددت المراياتعددا.
ابن عربي.

أخـــــــي الحبيب،الوحـــــــــدةهي الوحـــــــــدة،تبقى القراءةوالكتابـــــة،في ظـــــل الخـــــداع والمكروالخيانـــــة والغـــــدروالإنتهاز،في ظـــــل التبـــــدل والزمـــــان،وتوالي الخيبـــات،في لحظـــة وفـــاء،تبقى الـــذات والكتاب،وربمـــا كلـــب وفـــي خيررفيـــق،وفي الإبداع،إنـــه يجـــب أن نكتـــب عـــن القـــبح والجمـــال كمـــا هما،البدايـــة قـــد تكـــون جميلـــة،لكن النهايـــة ربمـــا لايمكـــن إنقاذهـــا،لأن نهايـــة حيـــاة هـــي بدايـــة لاشـــئ، الحنـــين يولـــد الصـــبر ويخفـــف من الإنزعاج...!
هـــا هنـــا كـــل شـــئ قابـــل للحيـــاة،لكن الحيـــاة تمـــوت فيها،مـــاذا يبقى،إذن،للإنســـان بعـــد أن يطلـــق النـــار/ العتـــاب علـــى كـــل شـــئ؟إنه إذ يطلـــق النـــارعلى كـــل شئ،فســـيطلق أيضـــا علـــى نفســـه،إن مـــا أختـــاره لنفســـي،أختاره لغيـــري مـــن خلالـــي،لكن الإطـــلاق علـــى كـــل شـــئ لايكـــون إلا مرةواحـــدة،لأن الإنســـان لايقتـــل عـــدوه مرتين...إنـــه تمـــرد إنســـاني نقي،وكمـــا قـــال(بودا)<نحن مـــا نفكـــر فيـــه>.إن ماهيـــة الإنســـان تفـــرض عليـــه أن يبـــرر وجوده،وفعلـــه فيـــه/ وهيدغرعنـــدما قال:"الإنســـان موجـــود الموت"،كـــان

يعني أن يحقق الإنسان منتهى نقاء وجوده./لابد أن يكون المبدع قد عرف كيف يعيش لكي يصير مبدعا،ولا أخفيك سرا،أنه في فترة من الفترات،كان معظم من أعرفهم في تلك المرحلة،يشجعونني على المضي في إنجاز تلك الروعة وذلك الخلود،كانوا هم أيضا يشتركون معي في وهم المجد ماداموا يقترحون علي بعض المواضيع لأكتبها وأن يستهلكوها هم أنفسهم من جديد،كنت مندهشا بساذاجتي وساذاجتهم.لكن هذه النزوة الإستعراضية،(الفخ الذي أنصبه للقراء)لم تطل،لقد أدركت أنني أبني أهرامات رملية/ كما بدأت أعي أن الشعرليس هومجرد انتقاء وتصويرأشياء/ليست كل حادثة،مادة لقصة،لابد من خلق الحدث داخل الحدث/نفس المراحل التي تتحول فيها دودةالقز إلى فراشة،محنة المبدع اليوم هي أنه مطالب بتطويرتقنيته وموضوعه أكثر من أي وقت سابق،مبدئيا،ليس القارئ الجاد وحده الذي يبحث عن كتاب جيد،إنما الكتاب الجيد،أيضا ف حاجة إلى قارئ جيد وإلاضاع كلاهما في الآخر،إنه لحظ كبير أن يلتقيا ليكمل أحدهما الآخر،وإنه لمن المستعذب أن يكتشف الإنسان نفسه في عيون الآخرين الأخوية،وإن المبدع الحقيقي لاينتظر أحدا لتزكيته وتعزيزه،كماأن حب الإكتمال في الإبداع يكاد يتحول في أذهاننا إلى أسطورة عندما أن *جبران خليل جبران*أعدم بعض اللوحات التي لم يتمها قبل وفاته رغم إلحاح ورجاء صديقته*ماري هاسكل*عليه لإبقائها،*أبوحيان التوحيدي* و*كافكا*أحسا بعبث أعمالهما،أوشعورابالخطيئة،مثل*غوغول*الذي أحرق جزءا من الجزء الثاني من الأرواح

الميتة،بعد أن أدرك أن الفن يتناقض مع الدين،وكان يعيش هلوسات بحدة في أواخر حياته، العالم يفلت منا باستمرار،والإبداع يحاول القبض على هذا الإفلات،نحن حين نستعيدبالإبداع،هذا العالم الهارب منا لانضعه في صورة مؤطرة ونحتفظ به كذكرى،إن مادته تتحول كأي معدن ينصهروتعاد صياغته في شكل يلائم عصرنا وما سيأتي بعدنا،هؤلاءالناس في الساحة الآن الذين ينشط بعضهم كالنمل ويخمل آخرون كالزواحف التي لاتتحرك إلابسقوط الفريسة في مجالها،وكل ما يغلفنا من أشياء،إنها كلها من عالمنا الذي هو كما لم يكن وصائر إلى ما هوليس بكائن،فعالمنا إذاهو ما أفلت،وما يفلت،وما سيفلت منا،ماذا يريد الإنسان من هذا الوجود إذن؟يقينا وجوده.إنه يحس أنه مفقود منذ ولادته:من الغيب إلى الغيب،لهذا يكابد من أجل إمساك ذاته التي تنفلت منه.إذ أدنى حركة،ومظهرفي الوجود يحسانه بوجوده.إن السكون هومبعث قلقه الحقيقي...

ورغم هذاالإنفلات فإن رفضه يتحدد تأجيله بما يربحه أويخسره مرددا قول الشاعر:

إنما دنياي نفسي...
فإن هلكت نفسي
فلا عاش أحد.
ليت أن الشمس بعدي غربت.
ثم لم تشرق على أهل بلد...!

الحياة لاتدرك إلا بالإبداع،والكلمة هي دمنا،وهذالايعني أننا نتمنى أن نموت بعد الآخر،أخيرا يبقى الإنسان حلم مستحيل،والإنسان نفسه حلم من الأحلام"،أشجع فيك طموحاتك

المتحدية لكل الصعاب،وأنك حقا الإنسان الجدير بكل احترام وتقدير.

الكاتب:محمد شكري.

مقر الإذاعة الجهوية/طنجة.

ـــ ذهبت الماضية فلم آخد منها شئ، وستقبل الأتية فسوف لن أودع فيها شئ، هذه بدايتها،فلتكن خاتمتها كما شاءت أن تكون...."

آخر توقيعات العقاد،مع متمنياتي بمستقبل مهني سعيد".

م - ج:محمد الخامس

آسفي/نجيب بن الشانع.

والتقينا،وكانت مدة اللقاء قصيرة،لم نتمكن من أن نقول كل شئ،أوأهم ما كنا نود قوله،ولكن! ولكن،مع ذلك فقد نابت الإشارات والمواقف القليلة عن التفاصيل والتوضيحات! وسيصلكم صوتنا عبر كل موقف جريء،يحاول الإحاطة بالبيان أومقاربته، فاذكرونا كما سنذكركم،معذرةولنا في الختام عبارة قالها:* أحمد عبد المعطي حجازي*في ختام قصيدة إلى اللقاء ندعو بها إلى الحب الخالد:

"لكننا يوما سنرفع الشراع كلنا إلى سبيل

فطهروا بالحب ساعة الوداع....!"

ذ،الشاعر:اليمني عبدالجبار،أبوأزال/م - ج .

الأيام رسائل،يكتبها الزمن للناس،لكن بلا كلام. زمن الولادة مواجهة للموت،حاصر حصارك،واستمر،في الدرب دروب،صعب هوالوصول،بل مستحيل!ادفن أتعابك،وواصل...!

الجديدة،الأستاذ:محمد المنتا قي.

ـــ تحية أخوية،لقد سرني نجاحك،وتميزك في إطار،الطموح الذي ركبته وركبك،راجيا من قدرتك

أن تتفوق على جل العراقيل الممكنةوالمتاحةوالآن،بعد أن امتطيت البحروأزحت الزبد من تحت مشيك يبقى عليك امتطاء يم آخر،وأملي أن لاتلتفت للصيد الصغيروالراهن،وحدق في البحروالمدى.

أخوك:بنمبارك

ر- م - ح - للمبدعين.

****

ـــ أخي محمد،غدا سيفتح القدرجسرالذاكرة بيننا،وعبرالمسافةالفاصلة،سيزكو الحنين وتترامىالعواطف،وقتئذ ينفس الهوى والشوق والحب بألف ذكرى وذكرى،يومها:اعلم أنك في الأعماق سرلايريم،وأنك في محيط الذاكرة، وشم فوق الوهم والتخيل،أجل!غدا، وحين يلف الزمان عواطفه حول شظايا الأسماءفي أعماقي،فاعلم أنك المبدع الذي لاينسى،وأقدرفيك محنة الإنسان الذي أحب أن يحترق لينيرطريق غيره،وأحمد فيك كل الخصال التي تقدمها قوتا لتعيش الحياةوالحريةوالكلمة شكرا.

ذ:أبوسفيان أجكنور.ورزازات.

ألقاك بعد الرحيل،ولكن قد أكتب لك التاريخ،تتمزق الولادة بين الرؤياوشذرات الحلم،وقد أعزف لك الرحيل،مثل صوتي الشعري لأقول:ـــ شذرات الليل،تملأ النفس،وأخاديد الحسن والمرايا،ويتهاطل المطرعلى أغصاني،يناديني نبأ المدينة المنهارة،على أرصفة الشارع،يناديني عشق الصرخة،يناديني ظلام الليل،ويسقط الدم مثل أزهارالفقراء،مثل تلاوين السواد،يناديني، ويمزق الوقت صورتي،وينهارالسقف على

أكتافي،مثل شبح الحرب والدمار!رسائلي إليك عاشقا وأخا على طول المساحة والجغرافية،يمتد هذا الإهداء ليعانق ميلادك،ولاأنساك مهما عبرت البحر،مهما امتد الرحيل،لن ننساك!حتى لاينساني نبأ مدينتكم والشعروالقافية،في امتداد الصمت يحول هذا الرحم كل الذكرى،نعبر المسافات بين رحيل الأمس واليوم،ويشرق هذاالسكون،ذلك الجسد في قراءات للزمن المنسي، ومن همس الخطاب،أسأل نفسي على امتداد الساعات،عن الذي سيكون بين التأشيرة والسفر...!

غدا الشراع سيبحرفي اتجاه،ستلاطمه الأمواج،وسيحس الذي سيكون بداخله برغبة التحدي والإنتصار،فكيف لانسأل داخل عتابنا، عن سر الإقلاع والمغامرة، فهمسا،لن تنام القصيدة،يا أعزمحمد.

المبدع:التهامي الطالبي

البيضاء.

مقاربات نقدية/
وقراءات في مؤلف:
باب لقلب الريح من أجل كوة للفرح

"بين الترابط و التناثر"

للأستاذ محمد رحمان

في غمرة هذا اللقاء البهيج وفي لجة هذا المنتدى البديع الذي يجمعنا لأول مرة،يشرفني ويسعدني أن أشارك في تقديم مؤلف حديث لمؤلف زميل بدأ يطأ أرض الإبداع والنشر،قادما إليها من تخوم التفكير الصعب والمساءلة العميقة.

إنها مناسبة مناسِبة هذه التي تجمعنا اليوم ،و التي أبدأها بقولي:-<< سلام عليك أيها الواقف عند مدخل القلب...سلاما أيها القلب الراقص على جدران الحزن الراكض في اتجاه النافذة بحثا عن كوة فرح ملفوف بمرايا من ضوء عشتاروأنا شيد لوركا>>

و أختمها بقولي:<<إنها عشتار اليوم بيننا حية،نابضة،ولوركا يعلمنا النشيد الكوني الأبدي>>.

أيها الحضور الكريم،ليس في نيتي- في هذه المداخلة-أن أدخل في تفاصيل نقدية حول مؤلف "باب لقلب الريح" للأستاذ **محمد آيت علو** ،ليس في نيتي كذلك الخلوص إلى استنتاجات نهائية،فكل هذا متروك للقراءة المتأنية،و لكن بغيتي هي:ـ الوقوف على التعالق المفترض بين العنوان وغيره من عناوين مختزنة في الذاكرة.

ـ الوقوف على شساعة الدلالة التي يحملها التجنيس الغريب الذي وضع للمؤلف.

1. العنوان:

جاء عنوان المؤلف مضغوطا بخط بارز متكون من ثلاث لكسيمات لغوية

- الأول **باب** و هو اسم نكرة مفرد يحيل على الإنتماء إلى حيز الدخول

والمدخل،الـــدواخل، المـــدخلات،أي إلـــى حيزما هو جواني/مغلق.

- و الثانيـة **لقلـب** وهواسـم مفـرد مجـرورىلام الجر،ويـــدل علـــى المشاعروالأحاســـيس التـي تؤثـث نفسـية الإنسـان باعتبارهـا حيـزا مغلقا،وقـد يـدل علـى التغييرالـذي تفيـده لفظة القلب.
- و الثالثـة **الـريح** وهواسـم مفـرد معـرف بـأل و مذكر تداوليا، ومؤنث لغويا.

ويقودنـا هـذا إلـى الوقـوف علـى شـبكة التعـالق المفتـرض بـين هـذا العنـوان الجريءوغيـره مـن العناوين،فتحضـرنا فـي هـذا الإطار العناوين التالية:

في الإبـداع العربي:

- مسرحية "الباب" لغسان الكنفاني
- روايـــة "ســـبعة أبـــواب" لعبـــد الكـــريم غلاب.
- رواية "باب تازة" لعبد القادر الشاوي.
- روايـــة "الأبـــواب الموصـــدة" لرفعـــت الخطيب.
- مســـرحية "افتحـــوا الأبـــواب" لمعـــين بسيسو.
- قصـــيدة "البـــاب تقرعـــه الريـــاح" لبـــدر شاكر السياب.

و في الإبداع الغربي:

- رواية "أبواب الخلود" لميلان كونديرا
- روايـــة "القـــط الأســـود وراء البـــاب" لفلاديميركرافشتكو.
- روايـة "أبـواب القلعـة الخامسـة" لإزابيـل ماريان.
- مسرحية "باب المطر" لفرنسوا جيرار.

و كلهـــا نصـــوص ســـردية و تمثيليـــة هاجســـها المشـــترك هوالدعوة إلى التغييروإعادة بناء الذات والحياة.
إن التعـالق الموجـود بـين العنـوان وغيـره تعـالق نصـي يكثـف التجربة الإبداعية و يلخصها.

2. دلالة التجنيس:

ورد أسـفل الغـلاف تجنـيس يبـدو منـذ الوهلـة الأولـى غريبـــا غيرمألوف،جـــاء فيه:"نصـــوص منفلتـــة ومسـافات"غيرأن توغلنـا فـي فهـم مقصـدية الـنص وتراكماتـه الدلاليـة يجعلنـا نلمـس كـون هـذه النصـوص قـد انفلتـت مـن عقـــال التجنـــيس نفســـه، وانفلتـــت كـــذلك مـــن صـهـــوة المقصـديـــة الجمـاليـة،أقصـد أنهـا نصـوص/ طبقـات تـداخل فيهـا مـا هـو نفسـي واجتمـاعي و قصصـي وسـيري وشـعري و إخباري...

أمـا لفظـة المسـافات،فهي تؤشـرعلى حقيقـة باديـة،و لكنهـا غيرعاديـة،تتمثل فـي المسـافات التـي تفصـل هـذه النصـوص مـــن حيـــث الـــزمن(1993-97-98-99-2000ـــ2011) مســافة زمنيـــة اســتطاع الكاتـــب أن يكثـــف فيهـــا تجربتـــه الحياتيـــة،وأن يصـــقل تجربتـــه الإبداعيـــة،ومن حيـــث المكـــان(من تزنيـــت جنوبـــا وصـــولا إلـــى طنجـــة شـــمالا،وألميريا، والشـــاون،بل إلـــى تخـــوم الشـــرق الصـــادع بالأنـــا والأنويـــة(تنغير-ورزازات مثلا)أمـــاكن دافئـــة جعلـــت النصـوص تمتلـك دفقـا شـعوريا وإحالـة علـى المسافـات.[لقـد دخـل المؤلـف فـي سـباق المسافـات الطويلـة مـع الزمـن والمكان وهذه طبيعة الأدب].

تحت عنوان: "لغة الموت و البياض" للأستاذ المدني بورخيس

إن المسافات الإبداعية التي يرسمها الكاتب محمد آيت علو في نصوصه المنفلتة،تفتح أمام المتلقي بابا،بل أبوابا لقلب الريح،وتقحمه بشكل منفلت في مواجهة ريح الموت،حيث إن عليه أن يقطع هذه المسافات اللغوية،قصد الإمساك بخيط تلك النصوص ولن يتأتي له ذلك إلا بفك تلك الرموز المكتوبة،وكشف الدلالات العميقة في سواد الكتابة،والدلالات المغيبة في بياضها، لأنها مسافات نصية،يتداخل فيها الشعري و الصوفي، ويمتزج فيها الخيالي بالواقعي،وتتعرى فيها الذات من عقدها،وكبريائها لتفصح عن صراعاتها،ومشاعرها وانفعالاتها،إنها مسافات ملغومة حقا بتشكيلها،ولغتها وشريتها وواقعيتها وخيالها وصوفيتها.فما هي دلالات البياض في المؤلف؟ولماذا تحضر تيمة الموت بشكل ملفت في هذه المسافات الإبداعية؟

1. لغة الموت:

و نحن نفتح باب المؤلف،ونقلب صفحاته،ونقرأ مسافاته اللغوية،مسافة مسافة،ونفتض بكارة الكلمات والأشياء،يثيرنا ذلك الحضور المكثف للغة الموت،مجسدا في عدة مظاهر:

أولها مظهر الموت ذاته،حيث يتحدث الكاتب عن "قاعة الموت"

- تراه سافر إليها فمات؟...
- تراه الحب ولج قاعة الموت الأبدي؟...

إن الحديث عن موت الليل،وموت الحب ، يجعلنا نتساءل عن دلالة هذا الموت؟

هل هو الموت المألوف(مفارقة الروح بالجسد) أم هو موت آخر؟يبدو أن الموت يقصد به الموت المعنوي المجرد والفكري (دون إغفال حضور المعنى العادي) إنه موت الذات والإحساس/موت السلام و الهدوء،إنه موت الذات وذوبانها في زحمة الواقع.وهذا الموت ربما يكون أشد ألما وأفظع أثرا من غيره،وهذا ما يعززه موت الحلم،وموت العرافة صاحبة التفسير،فبموتها يموت الأمل و يعود التشاؤم واليأس ليملأ الذات ويسود مساحتها البيضاء.

و تحضر كلمة "القبور" بكثرة أيضا،والقبر مسكن الميت،فعندما يصبح الناس قبورا متنقلة وخائفة مثلما تماثيل منتصبة،دونما نبض أو حركة،فهذا تأكيد لتلك الدلالة المجردة للموت،موت الروح رغم حركية الجسد،موت الفكروالشعور،رغم حياة الذات الإنسانية،وعندما يصير الموتى بلا عدد وسط ظلام المقبرة،تتحدث إحدى المسافات عن وجود قبرمضيء،ربما جسد دلالة الحب والتفاؤل والنور.

و تصل تجربة الموت ذروتها عند تصوير مشهد جنائزي،بما فيه من حمل النعش،ووضعه في القبر،وتلاوة القرآن والدعاء،والبكاء والتأبين...وهنا تتحدث المسافة عن الحياة في الموت:"لكنك لن تموت أبدا،ما دمت ستعيش للحب... قلبك النابض بالصدق والإشراق وحب الناس لن يتوقف وسيدق مع دقات كثيرة للأبد..."

و ثاني هذه المظاهر،هوالحلم،فهوموت أيضا أو مرتبط به،إذ أنه ابتعاد عن الواقع وتفكير في عالم آخر. والحلم في المؤلف،يجسد الفشل/يعمق اليأس،إنه حلم المعاناة:"والآن أيتها العرافة خبريني بما لم أستطع عليه صبرا،إني أرى في الحلم واليقظة وفي كل مرة،وأسمع رجع ذكرى، الصوت نفسه،رنة جرس كنائسي نحيب/ عويل.... وأراني مصلوبا تأكل الطيرمن فوق رأسي...

وأرى عن يميني مجرى هائجا وأمواج كالصخر وأجسادا من بقايا طوفان نوح... وعن يساري رجالا ينتحون من الحجر قبورا، ويموتون...لكن العرافة ماتت بعدئذ ..."بين الحلم غيرالمتحقق،وبين موت العرافة،يصيرالإنسان بلا صدى،تجمد أفكاره،وتتحول تصوراته إلى هياكل بلا روح،ويتكررالحلم شظايا في عينه.

و ثالث هذه المظاهرهو مظهرالتيه والنسيان:

- يزرعنا التيه في غياهب النسيان.
- من قال أن العيون تدري سرالبكاء؟من قال بأن تلك العيون سترسم بالتيه مستقبلا بلا قسمات مثل حاضرنا السكران...
- هاأنذا مفقود مولود ،مولود مفقود أبحث عن نفسي قليلا،فلاأجدها إلا ناقصة مشوهة،مجزأة،أتلاشى في ظلام السواد،وفي شفاف البياض، وأضيع في غمرة الوحدة القاتلة....

تتعدد الصور،والموت واحد كما قال الشاعر،فلماذا هذا الحضورالمكثف لتيمة الموت؟

يجسد المؤلف،المقولة الشهيرة:الكتابة موت،تتشظى ذات الكاتب،وتتوزع سواد الكتابة في كل سطر يكتبه المبدع،يحس معه بأن ذاته تذوب رويدا رويدا،وما إن ينتهي من كتابة نصوصه المنفلتة،حتى يموت(كما يقول رولان بارت).إضافة إلى ذلك فإن الذات هي دائما في صراع مع الواقع،و مع الآخر،تنفعل وتتفاعل،تحلم،وتتصور،لكنها تصدم بتناقض العالم وقسوته،وأنانية الآخروسطوته،فتنعزل وتتوارى،فتصبح عزلتها موتا ونسيانا...

2. لغة البياض:

إن عملية الكتابة،ليست مجرد تنظيم كلمات على أسطرأفقية موازية،بل هي قبل كل شيء توزيع لبياض و سواد على مسند هو في عموم الحالات الورقة البيضاء.
وانطلاقا من هذا المعطى،فإن مؤلف "باب لقلب الريح" يوظف تشكيلا لغويا،يتمثل في تقنية البياض أو فراغات الكتابة،وإذا قد سكت عمدا عن مجموعة من الدلالات،وملأ مؤلفه بياضات عدة،فإن مهمة القارئ أن يملأها بما يراه مناسبا.

وبذلك يكون فاعلا في عملية الإبداع الأدبي، وإذا سكت هو الآخر،فإنه سيضيف بياض القراءة إلى بياض الكتابة،ومن ثم فإن السؤال الأكثر إلحاحا هو:ما دلالة هذا البياض؟وما علاقته بالمساحات المكتوبة؟

- أولا هي بياضات التحفيز/الإستفزاز،لأنها تدخل المتلقي في عوالم من التأويل والتفسيروالإفتراض،و تقلق ذاكرته / فكره،وتوقظ ذهنه من غفلة المعنى الجاهز و لدلالة القاطعة،إنها تستفزالقارئ وتحفزه على القراءة باهتمام و جدية.
- ثانيا هي بياضات الموت،لأن السكوت عن الكلام المباح،يعد موتا معنويا للمؤلف،كما أنها تنم عن الحضورالطاغي لتيمة الموت في المساحات السوداء(المكتوبة)،لهذا فالبياض يشكل صورة ومظهرآخرين لهذه التيمة،إنه الإستسلام والعجزوالفشل في التعبيرعن الذات.
- ثالثا هي بياضات الحلم،فالحلم يكون أبيض غالبا،،جميلا يكون،لكنه في المؤلف أسود في أسود،فهل بياض الكتابة هوحلم ثان أو حلم مضاد أوحلم بديل،فالكاتب،وهو يتوقف عن الكتابة في هذه الفراغات،ينصرف عن الواقع إلى الخيال،ويعانق الحلم بعيدا عن الحقيقة:

"- و سيطول بي سهري و يعود بي إشراق فألي،أنحت الخطط على حجمي
و مقاسي...أجل!سنبحرفي كلينا،نغوص، نغوص، نغوص..... "

- رابعا هي بياضات الحياة،ومن ثم يكون بياض الكتابة نقيضا لسوادها،فالموت ينتهي بانتهاء الكلمات،لتبدأ الحياة،ويعود الأمل ويبقى التفاؤل حاضرا،رغم مأساوية الواقع،ومعاناة الذات.بياض النصوص، إذن رغبة في العودة إلى الحياة / الوجود،والإحتجاج على الموت،والفشل والنسيان.

خاتمة

تجربة "باب لقلب الريح" إذن،هي تجربة تقوم على تخيل مسافة الحلم،لتسقط في نص الموت، وانفلات الحياة،وبياض الكتابة،إنها تجربة المأساة،والصراع النفسي بين الأمل واليأس،بين الحلم والحقيقة،بين الحياة والموت،بين السواد والبياض،...تجربة إنسان بلا صدى،يفكر فتبقى أفكاره جامدة،يتصور،يحلم،تصوراته،أحلامه هياكل بلا روح....

ترى هل استطاع الكاتب فعلا أن يفتح بابا لقلب الريح...؟ !!